هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة
تصدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية - القدس

العدد 154

ذو القعدة/ ذو الحجة 1442هـ حزيران/ تموز 2021 م

المشرف العام
الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير
الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

تصميم ومونتاج
محمود طنينة

هيئة التحرير

د. إسماعيل أمين نواهضة
أ.د. حسن عبد الرحمن السلوادي
د. حمزة ذيب حمودة
د. سعيد سليمان القيق
د. شفيق موسى عياش

المراسلات: مجلة الإسراء

الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام . دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب: 20517- القدس / ص.ب: 1862 رام الله - تلفاكس : 02-6262495 / 02-2348603

موقعنا على الإنترنت :www.darifta.ps للمراسلة عبر البريد الإلكتروني :israa@darifta.ps

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب .

القدس عاصمة فلسطين الأبدية

فهرس العدد

افتتاحية العدد

دعوة للتدبر في مضامين ومعاني خطبة الجمعة في المسجد الأقصى المبارك بتاريخ 9/ شوال/ 1442هـ وفق 21/ 5 /2021م	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

ومضات في ضوء الأمر الرباني بإتمام الحج والعمرة لله	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	13

ملف العدد

ما يقوم من الأعمال العظام عند العجز عن الحج إلى بيت الله الحرام	الشيخ أحمد شوباش	25
آيات وأشواق في رحاب المسجد الحرام	الشيخ عمار بدوي	30
قصيدة/ شوق للحج	أ. زهدي حنتولي	36

قيم ومواعظ

توقير العلماء فريضة دينية وضرورة دنيوية	د. نعيم هدهود	38
رفعنا الله بالتواضع	أ. كمال بواطنة	46
فضل البدء باسم الله	الشيخ سيف الدين علي	50

فهرس العدد

فتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية	54

فقه

الصفات المطلوبة في الخاطب والمخطوبة	الشيخ د. يسري عيدة	59
مسائل فقهية في الصلاة والزينة	أ. شريف مفارجة	67
القرآن الكريم وأثره في أخلاق حامله	أ.مهدي سليم	74

أدبيات

وقفات لغوية عند تسع آيات قرآنية	أ. يوسف عدوي	83
مضرب الأمثال	أ. هالة عقل	91
اقرأ ... وتذكر	أ. إيمان تايه	96

نشاطات ... ومسابقات

باقة من نشاطات وأخبار مكتب المفتي العام ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن	أ. مصطفى أعرج	99
مسابقة العدد 154	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 152	أسرة التحرير	111

دعوة للتدبر في مضامين ومعاني خطبة الجمعة في المسجد الأقصى المبارك

بتاريخ 9 شوال 1442هـ وفق 21 /5/ 2021م

الشيخ محمد أحمد حسين
المشرف العام

للحقيقة ولكل عاقل منصف، يسرنا افتتاح هذا العدد من مجلة الإسراء بنص خطبة الجمعة التي تشرفت بإلقائها من على منبر المسجد الأقصى المبارك، وذلك يوم الجمعة التاسع من شوال 1442 هـ، وفق الحادي والعشرين من أيار 2021م، والتي أعقبت الإعلان قبيل فجر اليوم المذكور عن وقف الحرب الظالمة على أهلنا في غزة هاشم، وجاءت هذه الخطبة بما تضمنته من معان وأفكار وتوجيهات لتعبر بالمناسبة عن موقف شرعي واضح مما يجري على ساحتنا الفلسطينية، فركزت على معاني العزة، وأشادت بالشهداء والتضحيات، ورجت الحرية للأسرى، والشفاء للجرحى، ودعت إلى أخذ درس مهم مما جرى فيما يتعلق بأهمية وحدة الصف في تحقيق الإنجازات المشرفة والنصر، وانتقدت الخذلان، وبينت فضل الرباط في القدس وأكنافها، وأشادت بالمرابطين وبسالتهم وصبرهم.

ولأهمية التعامل بموضوعية تجاه المواقف، والحذر من الأراجيف والمخططين لها، ممن يستهدفون المسجد الأقصى بالمس والخراب، والعرب والمسلمين بالفرقة وتشتيت المواقف وزعزعة الصف، نعرض تلك الخطبة بالنص الحرفي، حسب التسجيل الصوتي لها، والذي بثه عدد من المواقع الإعلامية، وما زالت مبثوثة على بعضها، عسى أن تساعد قراءتها بتروٍ، والتدبر في مضامينها بعيون مبصرة، وعقول نيرة، في إجلاء الصورة لمن غابت عنه الحقيقة،

وبخاصة الذين تعاطوا مع التشويش والشغب المغرض، حيث يصعب قبول تبرئة من خطط لما جرى، ونفذه بقصد تمرير الطعن الظالم، والمس الآثم لحرمة المسجد الأقصى المبارك، وعلمائه، والله تعالى يقول: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (البقرة:114)

والسعي في خراب المسجد الأقصى المبارك، والنيل من قداسته، وسكينة رواده، ظلم كبير، وإثم عظيم، ينبغي لمن ساهم فيه، أن يسارع إلى التوبة، والبراءة مما اقترف من جريمة، حتى لا يلقى الله بهذا الوزر والوبال المبين.

النص الكامل للخطبة:

الحمد لله الذي جعل الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

قال تعالى، وقوله الحق: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (المنافقون: 8)، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا، وشفيعنا، وقائدنا، محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، صلى الله عليه، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم، واتبع سنتهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، وبعد؛

أيها المسلمون: يا أبناء ديار الإسراء والمعراج، أيها المرابطون في المسجد الأقصى المبارك، في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، كرماء عند الله تعالى، أحياء عند ربهم يرزقون، إنهم الشهداء، وإن أقدس وأطهر موقع تترحم فيه على أرواحهم الطاهرة، التي ارتقت إلى العلا والمعالي، تجأر بالدعاء على ظلم الظالمين، واعتداء المعتدين، وتخاذل المنافقين والمتخاذلين، إنهم الشهداء الذين روّوا بدمائهم الزكية ثرى هذه الأرض الطاهرة

المباركة، من أرجائها إلى أرجائها، ولا نجد مكاناً أقدس وأشرف من منبر المسجد الأقصى المبارك، لنقول جميعاً: رحم الله شهداءنا الأبرار، وأسكنهم فسيح جنانه، مع الذين أنعم الله عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

ومن علياء هذا المنبر الشريف، نحيي كل أبناء هذا الشعب الصابر المرابط، هذا الشعب الذي بشر به رسولنا الأكرم، صلى الله عليه وسلم: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)(*)

كما ندعو الله تعالى بالفرج العاجل لكل الأسرى والمعتقلين، وندعوه جل شأنه، وهو على كل شيء قدير، أن يمن على جرحانا بالشفاء العاجل، وبالصحة والعافية، إنه على ما يشاء قدير.

كما نحيي من علياء هذا المنبر الشريف، كل أبناء هذا الشعب الصابر المرابط، بكل قواه الفاعلة، وفصائله العاملة، داعين الله تعالى أن يكتب لنا دائماً ولهم كل الخير والبركات، في أرض الإسراء والمعراج، في القدس الشريف التي قدسها الله وباركها، وجعل الرباط فيها من أكثر الأعمال الخيرة أجراً وثواباً، فكل ميّتٍ يختم على عمله إلا المرابط، فإن الله ينمي له أعماله إلى يوم القيامة، فهنيئاً لكم أبناء ديار الإسراء والمعراج بهذا الفضل العظيم، والشرف الكبير، الذي يغبطكم فيه كل مؤمن ومسلم، ويغيظ كل منافق آثم، وكل متخاذل متآمر، معرض عن ذكر الله وطاعته، هنيئاً لكم أهل ديار الإسراء والمعراج، ورسولكم الأكرم، صلى الله عليه وسلم، يبشر معاذاً بن جبل، بقوله: (يا معاذ؛ إن الله عزّ وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي، من العريش إلى الفرات، رجالهم ونساؤهم وإماؤهم، مرابطون إلى يوم القيامة، فمن اختار ساحلاً من سواحل الشام، أو بيت المقدس، فهو في جهاد إلى يوم القيامة)، وهكذا

* صحيح مسلم، كتاب الإمارة، بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ).

أنتم أيها المرابطون، أيها الصابرون في كل أرض فلسطين الحبيبة، فلسطين التاريخية، فلسطين القدس والقداسة، فلسطين العزة والكرامة، فلسطين والقلب منها القدس، نعم، القدس التي بارك الله فيها، وبارك حولها، وجعل مسجدها الأقصى مهوى أفئدة المؤمنين، ومحط أنظار المسلمين، والهمة العالية لكل كريم، ينصر الله ورسوله، وينصر الحق المبين، ويقف مع القدس ومقدساتها.

أيها المسلمون: أيها المرابطون في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، أيها المعمرون للمسجد الأقصى، في شهر رمضان المبارك، وبعد شهر رمضان المبارك، يا من تشدون رحالكم إليه صباح مساء، وفي أيام الجمع المباركة، تشدون رحالكم، غير آبهين لما تتعرضون له من المشقات، ومن الحواجز التي تحاول منعكم من الوصول إلى القدس والمسجد الأقصى المبارك.

أيها المؤمنون: يا أبناء ديار الإسراء والمعراج، وحينما نقول القدس، فإن للقدس وقعها في عقيدة المسلمين، وللقدس مكانتها في عقيدة المؤمنين، وللقدس مكانتها في عقيدة المخلصين، وللقدس مكانتها في عقيدة من رزقه الله اليقين والمروءة، وإن للقدس مكانتها في نفوس العظماء على مدار التاريخ، للقدس مكانتها في قلب عمر الفاروق، ومن كان على شاكلته من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وللقدس مكانتها في قلب من كان مثل صلاح الدين، أو يعمل على منهاجه، وللقدس موقعها في قلوب أحبابها ومحبيها، والمرابطين فيها، والذائدين عنها بأرواحهم وأموالهم وأنفسهم، خرجوا لله عن كل شيء، فأعطاهم الله كل شيء، وإذا كان الله معنا فمن علينا؟؟!! ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون.

أيها المسلمون: يا أبناء أرض الإسراء والمعراج، القدس وبوصلتها الصادقة، وبوصلتها التي لا تحيد عن الحق، هي العنوان، وهي الدليل، وهي البرهان على قوة المسلمين، أو ضعفهم، اقرؤوا التاريخ، قفوا على كل المواقف المشرفة، مواقف العطاء والفداء، تجدوا

أن عـزة القـدس مـع عـزة المسـلمين، وتجـدوا أن ضيـاع القـدس أو هـوان القـدس في ضيـاع وتفـرق المسـلمين وهوانهـم، فهـي بوصلـة صادقـة، بوصلـةٌ ربانيـة، بوصلـة تفـرز صلـب الحـق والإيمـان، وتمـيز عـن صلـب النفـاق، والـتردد والطغيـان، إنهـا البوصلـة الأمينـة الصادقـة، الـتي مـن عمـل بموجبهـا وباتجاههـا، فهـو المؤمـن الصـادق، والمسـلم الـذي قـال: (حسـبي اللـه ونعـم الوكيـل) بوصلـة الرجـال الذيـن منهـم مـن قـضى نحبـه، ومنهـم مـن ينتظـر، ومـا بدّلـوا تبديـلاً، بوصلـة الصادقـين دائمـاً، وفي هـذا المقـام، وفي موقـف التميـز والتمايـز، لا بـد مـن تقريـر حقيقـة واقعـة ومشـاهدة، فمـن كانـت بوصلتـه باتجـاه القـدس، ومـع القـدس ومقدسـاتها وصيانـة أرضهـا، وحمايـة شـعبها، فهـي البوصلـة الصادقـة، بوصلـة العـز، بوصلـة الإيمـان، بوصلـة الخـير في قلـب كل مـن اصطفـاه اللـه للخـير وفعلـه.

أيهـا المسـلمون: أي بوصلـة تنحـرف عـن القـدس، أو تتجـه إلى غـير القـدس، كنـا نقـول عنهـا في زمـن سـابق، لعـل الذيـن انحرفـوا بهـا، وجعلوهـا مشـبوهة، أن يعـودوا إلى الحـق والصـواب، فكنـا نوصّفهـا ونوصفهـا بأنهـا بوصلـة مشـبوهة، واليـوم ومـن علياء منـبر الأقـصى الشريـف، نقـول وبأعـلى الصـوت: إن كل بوصلـة لا تتجـه إلى القـدس، ولا تتوجّـه للقـدس، هـي بوصلـة خائنـة، بوصلـة تحـابي الأعـداء، بوصلـة تتـولى الأعـداء، واللـه يقـول: { وَمَـنْ يَتَوَلَّهُـمْ مِنْكُـمْ فَإِنَّـهُ مِنْهُـمْ }(المائـدة: 51)

أيهـا المسـلمون: يـا أبنـاء ديـار الإسراء والمعـراج، يقـول رسـولنا الأكـرم، صـلى اللـه عليـه وسـلم: (وَكُونُـوا عِبَـادَ اللـهِ إِخْوَانًـا، الْمُسْـلِمُ أَخُـو الْمُسْـلِمِ، لَا يَظْلِمُـهُ وَلَا يَخْذُلُـهُ، وَلَا يَحْقِـرُهُ، التَّقْـوَى هَاهُنَـا- وَيُشِـيرُ إِلَى صَـدْرِهِ ثَـلَاثَ مَـرَّاتٍ- بِحَسْـبِ امْـرِئٍ مِـنَ الـشَّرِّ أَنْ يَحْقِـرَ أَخَـاهُ الْمُسْـلِمَ، كُلُّ الْمُسْـلِمِ عَـلَى الْمُسْـلِمِ حَـرَامٌ، دَمُـهُ، وَمَالُـهُ، وَعِرْضُـهُ)(*)

أو كمـا قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم، فيـا فـوز المسـتغفرين اسـتغفروا اللـه، وادعـوا اللـه، وأنتـم موقنـون بالإجابـة.

* صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ، لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً عبد الله، ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛

أيها المسلمون: من القدس، من قلبها المبارك المسجد الأقصى المبارك، ومن علياء هذا المنبر الشريف، نقول لكل أبناء شعبنا الفلسطينيّ آن الأوان، ولا عذر لكم بأي خلاف أو اختلاف، آن الأوان لتوحدوا صفكم، وتجمعوا شعبكم، وتلموا كل إخوانكم في صف واحد، وأن يكون الحوار الشامل بين كل مكونات هذا الشعب الصابر، ولا يقبل هذا الشعب منكم إلا أن تكونوا كذلك.

نعم، آن الأوان لتلتقطوا هذه الفرصة، وأن تلتقطوا هذا الموقف الشريف المشرف، لتجتمعوا على قلب رجلٍ واحد، في صف واحد، يمثل كل الفلسطينيين، نعم يمثل كل المضحين، كل الصادقين، كل العاملين، وقد عملوا من أجل القدس، ومن أجل مقدساتها، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، آن الأوان، لحوار صادق يبتغي وجه الله تعالى، ويحافظ على القدس ومقدساتها، وعلى تضحيات هذا الشعب، الصابر المرابط، ليكون لهذا الشعب، وليكون لكل تضحياته مكان تحت الشمس، شمس الحرية، شمس الكرامة، شمس العزة، التي قضى من أجلها الشهداء، وقضى من أجلها الأبرار، وما زال المخلصون والصادقون من أبناء هذا الشعب ينتظرون أمر الله، وما هو من المؤمنين ببعيد، وأما أنتم أيها العرب يا من تجتمعون للتغطية على عجزكم، في مؤسساتكم التي هي أعجز من أنظمتكم، آن الأوان لتنفضوا غبار الذل والهزيمة، لتنفضوا غبار العار عن جبينكم، وعن جبين دولكم وشعوبكم.

وأما أنتم أيها المسلمون يا أبناء جمعية منظمة التعاون الإسلامي، كان اسمها منظمة المؤتمر الإسلامي، فأخليتم الاسم، وجعلتموها جمعية التعاون الإسلامي، آن الأوان لأن تراجعوا أعمالكم مع ربكم، آن الأوان لتحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، آن الأوان لكي تقفوا في الدنيا بين العظماء، وإلا وقفتم وكنتم في مزابل التاريخ، آن الأوان للأمة الإسلامية أن تنهض من كبوتها، وأن تعيد حساباتها، فعندها الكثير الكثير، إذا عملت بموجبه، واستغلت موقعها وعدتها وعددها كان لها مكان من العزة والكرامة، في هذه الدنيا الكبيرة.

أيها المسلمون: يا أبناء ديار الإسراء والمعراج، نقول دائماً وما زلنا نقول: إن القدس هي مفتاح الخير، وهي مفتاح الحرب والسلام، فإذا كان المسلمون حيثما كانوا يريدون سلاماً لهم، ولقدسهم ولمقدساتهم، فليسلكوا طريق الحق الذي يوصل إلى السلام الصادق، السلام العادل، السلام الذي لا يتجاوز حقوق الفلسطينيين، السلام وليس الاستسلام المذل.

أيها المسلمون: يا أبناء ديار الإسراء والمعراج، بارك الله فيكم، وبارك في جهودكم الطيبة الخيرة، وجعلكم إن شاء الله وأنتم كذلك، بشارة رسولنا الأكرم، صلى الله عليه وسلم: (فَلَعَلَّهُ أَنْ يَنْشَأَ لَكَ ذُرِّيَّةٌ، يَغْدُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَسْجِدِ وَيَرُوحُونَ)(*) شدوا الرحال دائماً إلى المسجد الأقصى المبارك، واعمروه كما عمرتموه في رمضان، وبعد رمضان، وفي هذا اليوم، وفي كل يوم، فأنتم بحول الله وقوته الفئة التي وعدها الله بالنصر، ووعدها الله بالعزة، ووعدها الله بالرباط في هذه الديار، إلى أن يأتي أمر الله.

اللهم ردنا إليك رداً جميلاً، وهيئ لنا وللمسلمين فرجاً عاجلاً قريباً، وقائداً مؤمناً رحيماً، يوحد صفنا، ويجمع شملنا، وينتصر لنا.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلاً، ووفقنا اجتنابه، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، وللمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، واختم أعمالنا بالصالحات، وأنت يا مقيم الصلاة أقم الصلاة.

* مسند أحمد، مسند المدنيين، حَدِيثُ ذِي الْأَصَابِعِ.

تحليل مجمل لمضامين الخطبة:

- بُدئت بالاستشهاد بآية قرآنية: تثبت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.
- خوطب في مقدمتها أبناء ديار الإسراء والمعراج، المرابطون، في بيت المقدس/الكرماء.
- الترحم على الشهداء من أقدس مكان (المسجد الأقصى المبارك).
- تفصيل الحديث عن الشهداء وبيان فضلهم والإشادة بهم.
- تحية أبناء هذا الشعب الصامد المرابط الذي بشر به الرسول، صلى الله عليه وسلم.
- الدعاء بالفرج العاجل للأسرى والمعتقلين.
- الدعاء بالشفاء العاجل للجرحى.
- إعادة التحية من على المنبر الشريف لأبناء الشعب الفلسطيني المرابط الصابر بكل قواه الفاعلة، وفصائله العاملة.
- بيان فضل الرباط في القدس وديار الإسراء والمعراج.
- حديث بشارة فتح الشام من العريش إلى الفرات، ومن اختار ساحلاً من سواحل الشام، أو بيت المقدس فهو في جهاد.
- فلسطين التاريخية، فلسطين العزة والكرامة.
- الإشادة بالذين يشدون الرحال إلى المسجد الأقصى، رغم المشاق والحواجز.
- مكانة القدس في عقيدة المؤمنين والمخلصين، ومن رزقه الله اليقين، كما كانت في قلب عمر وصلاح الدين، وتضحيات المرابطين والذائدين عنها بالأرواح والأموال والأنفس.
- القدس بوصلتنا، وهي البرهان على قوة المسلمين، وعزتها مع عزة المسلمين.
- هي البوصلة الأمينة الصادقة، بوصلة الرجال الصادقين.
- وأي بوصلة تتجه إلى غير القدس ليست مشبوهة فحسب، بل هي خائنة تحابي الأعداء وتتولاهم، ومن يتولهم فإنه منهم.
- ختم الخطبة الأولى بحديث لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، يتضمن ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين المسلمين، وتحريم ظلم المسلم وخذله، وأن المسلم على المسلم حرام.

• بُدئت الخطبة الثانية بمخاطبة المسلمين من القدس وقلبها المسجد الأقصى المبارك، ومنبره الشريف للتوجه إلى الحوار الشامل بين كل مكونات هذا الشعب الصابر، ورفض غير ذلك.

• التنبيه إلى أنه قد آن الأوان لالتقاط هذه الفرصة، فرصة الموقف المشرف للاجتماع على قلب رجل واحد، في صف واحد، ليكون لهذا الشعب بكل تضحياته مكان تحت الشمس.

الخطبة في مجملها وتفاصيلها تتناول حدث الساعة، الذي أعقب أحد عشر يوماً من الحرب الطاحنة الظالمة ضد أطفال غزة الصابرة الصامدة وشيوخها ورجالها ونسائها، وركزت على القضية الأم التي بسببها كانت هذه الحرب، وهي قضية القدس والمسجد الأقصى المبارك، حيث انبرى للدفاع عن هذه القضية أهل غزة والقدس والضفة الغربية والداخل الفلسطيني في لُحمة واحدة، أشادت الخطبة بها، وبتضحيات الذين استبسلوا في الذود عن حماها والانتصار لها.

ومضات في ضوء الأمر الرباني بإتمام الحج والعمرة لله

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله
رئيس التحرير

الحج والعمرة ذكرهما القرآن الكريم، وبينت السنة النبوية المطهرة أحكامهما وكيفية أدائهما، فالله تعالى أمر بإتمام الحج والعمرة لجلال وجهه الكريم، فقال سبحانه: {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (البقرة: 196)

معنى الأمر بإتمام الحج والعمرة لله، بينه المفسرون، فيقول صاحب التسهيل لعلوم التنزيل: أي أكملوهما إذا ابتدأتم عملهما، قال ابن عباس: إتمامهما كمال المناسك، وقال علي: إتمامهما أن تُحرِم بهما من دارك، ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام، لا بالابتداء.(*)

ولكل من الحج والعمرة معنى وأحكام وكيفية وأهمية، وبخاصة في مجال الثواب المعد لمن يؤديهما، على الوجه الشرعي المطلوب.

* التسهيل لعلوم التنزيل، 74/1.

معنى الحج لغةً واصطلاحاً:

تعرضت كثير من المراجع الفقهية إلى تعريف الحج والعمرة لغةً واصطلاحاً، فبينت أن الحج لغةً مطلق القصد، وقيل: إنه القصد لما هو عظيم.

واصطلاحاً: هو قصد بيت الله الحرام، في زمن معين، لأداء مناسك وأعمال معينة، وبشروط مخصوصة، وبصفة مخصوصة.

والعمرة في اللغة، هي الزيارة، وفي الاصطلاح، هي: زيارة بيت الله الحرام على وجه مخصوص، لأداء مناسك وأعمال معينة.

مكانة الحج والعمرة في الإسلام وحكمهما وثمارهما:

الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، فعن ابن عُمَرَ، رضي الله عنهما، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ على خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)[1]

والله أمر بدعوة الناس لأداء الحج، فقال جل شأنه: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}(الحج: 27)

ومعنى أَذّن أعلم، وفي المأمور قولان: أحدهما -وعليه أكثر المفسرين- أنه هو إبراهيم، عليه السلام، والقول الثاني: إن المأمور بقوله: {وَأَذّن} هو محمد، صلى الله عليه وسلم، وهو للحسن، واختيار أكثر المعتزلة، واحتجوا عليه بأن ما جاء في القرآن، وأمكن حمله على أن محمداً، صلى الله عليه وسلم، هو المخاطب به، فهو أولى.[2]

وفرض الله الحج على المسلم البالغ العاقل المستطيع، مرة واحدة في عمره، ويأثم من يترك أداء فريضة الحج إن استطاع إليه سبيلاً، وقد أداه صلى الله عليه وسلم، في العام العاشر للهجرة، وسمي حجة الإسلام، لأنه لم يحج سواها.

1. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس)
2. التفسير الكبير، 25/23

أما العمرة، فقد اختلف الفقهاء في حكمها، فمنهم من أوجبها، وممن قال بذلك الشافعي وأحمد، وفي صحيح البخاري، بَاب وُجُوبِ الْعُمْرَةِ وَفَضْلِهَا، وقال ابن عُمَرَ، رضي الله عنهما: (ليس أَحَدٌ إلا وَعَلَيْهِ حَجَّةٌ وَعُمْرَةٌ)، وقال ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما: إِنَّهَا لَقَرِينَتُهَا في كِتَابِ اللَّهِ {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}.[1]

ومنهم من أبقاها في دائرة السنة دون الوجوب، وممن ذهب لهذا أبو حنيفة ومالك، ولكل دليله وتأويله.

ومن أبرز ثمرات الحج والعمرة، تكفيرهما الذنوب، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (الْعُمْرَةُ إلى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ ليس له جَزَاءٌ إلا الْجَنَّةُ)[2]

وعنه رضي الله عنه، قال: سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: (من حَجَّ لِلَّهِ، فلم يَرْفُثْ، ولم يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)[3]

صلة أعمال الحج بنبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل وزوجه هاجر، عليهم السلام:

معلوم أن سيدنا إبراهيم، عليه السلام، أسكن مكة -بوحي من الله- زوجه هاجر، وابنه إسماعيل، ففي السورة القرآنية المسماة باسمه، تسجيل لواقعة إسكانه زوجه وابنه، عليهم السلام، في مكة قبل أن تكتسب مكانتها مقصداً للحج ومناسكه وشعائره، فالله تعالى يقول على لسان نبيه وخليله إبراهيم، عليه السلام: {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} (إبراهيم:37)

1. صحيح البخاري، كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها.
2. التخريج نفسه.
3. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور.

جاء هذا الإجراء وما رافقه من دعاء إبراهيم، عليه السلام، بعد سعيه الجاد لمحاربة الأصنام وعبادتها، وقد ذكر القرآن الكريم دعاءه بالخصوص، فقال عز وجل: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ* رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (إبراهيم: 35 - 36)

ومن أبرز دلالات دعاء إبراهيم، عليه السلام، المسطر في هذه الآيات الكريمة، الربط بين التحرر من الأصنام، وبين الحرص على سلامة عقيدة الذرية وعبادتهم وسلوكهم، إضافة إلى ما في تصرف إبراهيم تجاه زوجه، وفلذة كبده، من دلالة على اليقين بالله ونصره وعونه، فإبراهيم أسكنهما في واد غير ذي زرع، ودعا ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وتحقق له ما طلب وزيادة، وفي صحيح السنة تفصيل تسجيلي لما كان، ففي صحيح البخاري، حديث مطول لابن عباس، رضي الله عنهما، فيه سرد لهذه القصة وأبعادها التي تظهر صلتها بكثير من مناسك الحج والعمرة، ومما جاء في هذا الحديث الصحيح من مواقف معبرة عن يقين بالله، أن إبراهيم، عليه السلام، لما أسكن زوجه وابنه تلك البقعة الجدباء تبعته، فقالت: (يا إِبْرَاهِيمُ؛ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بهذا الْوَادِي الذي ليس فيه إِنْسٌ ولا شَيْءٌ ؟! فقالت له ذلك مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فقالت له: آلله الذي أَمَرَكَ بهذا؟ قال: نعم، قالت: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ...).(*)

ومن معالم إبراهيم القائمة بجوار بيت الله الحرام، مقام إبراهيم، الذي ذكره الله في ثنايا الحديث عن الحج إلى بيته المحرم، فقال عز وجل:{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (آل عمران:97)

* صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب منه.

مواقيت الحج والعمرة والأيام المعلومات والمعدودات:

للحج مواقيت زمانية، وأخرى مكانية، أما مواقيته الزمانية، فهو يؤدى في أشهر معلومات، يقول تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ}(البقرة:197)

وأشهر الحج هي: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، وقيل: وذو الحجة، مع الإجماع على فوات الحج بعدم الوقوف بعرفة قبل الفجر من ليلة النحر. [1]

ومن وظائف الأهلة تحديد مواقيت الحج، مصداقاً لقوله عز وجل: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ...} (البقرة: 189)

وذِكرُ اللهِ في الحج له أيام معدودات، حسب قوله تعالى: {وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}(البقرة: 203)

والمراد بالأيام المعدودات هنا ثلاثة بعد يوم النحر، وهي أيام التشريق، والذكر فيها التكبير في أدبار الصلوات، وعند الجمار، وغير ذلك، ويجوز للمتعجل في يومين الانصراف في اليوم الثاني من أيام التشريق، ويجوز التأخر إلى اليوم الثالث، لرمي بقية الجمار، فالمتعجل يترك رمي جمار اليوم الثالث، وقيل: يقدمها في اليوم الثاني، وفي الموضعين، قيل: إنه إباحة للتعجل والتأخر، وقيل: إنه إخبار عن غفران الإثم، وهو الذنب للحاج، سواء تعجل أو تأخر. [2]

كما أن ذكر الله في الحج يكون في أيام معلومات، قال تعالى: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} (الحج: 28)

1. أضواء البيان: 481/4.
2. التسهيل لعلوم التنزيل: 76/1.

جاء في صحيح البخاري، بَاب فَضْلِ الْعَمَلِ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وقال ابن عَبَّاسٍ: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ)، أَيَّامُ الْعَشْرِ، وَالْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ، أَيَّامُ التَّشْرِيقِ، وكان ابن عُمَرَ، وأبو هُرَيْرَةَ، يَخْرُجَانِ إِلى السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ يُكَبِّرَانِ، وَيُكَبِّرُ الناس بِتَكْبِيرِهِمَا، وَكَبَّرَ محمد بن عَلِيٍّ خَلْفَ النَّافِلَةِ، وفيه عن ابن عَبَّاسٍ عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ قال: (ما الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ العشر أَفْضَلَ منها في هذه، قالوا: ولا الْجِهَادُ؟ قال: ولا الْجِهَادُ، إلا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فلم يَرْجِعْ بِشَيْءٍ)[1]

ومعلوم أن للحج مواقيت مكانية، يمنع من أراد الحج أو العمرة، تجاوزها دون إحرام، يقول صاحب أضواء البيان: والمواقيت المكانية خمسة، أربعة منها بتوقيت النَّبي، صلى الله عليه وسلم، بلا خلاف بين العلماء، لثبوت ذلك في الصحيحين وغيرهما عنه صلى الله عليه وسلم، وواحد مختلف فيه، هل وقته النبي، صلى الله عليه وسلم، أو وقته عمر، رضي الله عنه، أما الأربعة المجمع على نقلها عن النَّبي، صلى الله عليه وسلم، فهي: **ذو الحليفة**، وهو ميقات أهل المدينة، **والجحفة**، وهي ميقات أهل الشام، **وقرن المنازل**، وهو ميقات أهل نجد، **ويلملم**، وهي ميقات أهل اليمن، أخرج توقيت هذه المواقيت الأربعة الشيخان في صحيحيهما، عن ابن عباس، وابن عمر، رضي الله عنهم، إلا أن ابن عمر، لم يسمع من النَّبي، صلى الله عليه وسلم، توقيت يلملم لأهل اليمن، بل سمعه من غيره صلى الله عليه وسلم، وهو مرسل صحابي، والاحتجاج بمراسيل الصحابة معروف، أما ابن عباس، فقد سمع منه صلى الله عليه وسلم، المواقيت الأربعة المذكورة.[2]

عن زَيْد بن جُبَيْرٍ، أَنَّهُ أتى عَبْدَ اللَّهِ بن عُمَرَ، رضي الله عنهما، في مَنْزِلِهِ وَلَهُ فُسْطَاطٌ وَسُرَادِقٌ، فَسَأَلَهُ: من أَيْنَ يَجُوزُ أَنْ أَعْتَمِر؟ قال:(فَرَضَهَا رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، لِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنًا، وَلِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشام الْجُحْفَةَ)[3]

1. صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق.
2. أضواء البيان: 481/4
3. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فرض مواقيت الحج والعمرة.

السعي بين الصفا والمروة والطواف في البيت:

من أركان الحج والعمرة، السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط، تبدأ بالصفا، وتنتهي بالمروة، وقد ذكر الله هذه الشعيرة بقوله عز وجل:{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}(البقرة: 158)

ومن أركان الحج والعمرة كذلك الطواف في البيت سبعة أشواط، في كل طواف، وهو ركن في طواف العمرة، وفي طواف الإفاضة في الحج، وأنواع الطواف الأخرى في الحج يقع حكمها بين السنة والفرض والواجب .

وفي الطواف والسعي والشرب من زمزم ، وغير ذلك من أعمال الحج والعمرة وشعائرهما ونسكهما، تذكير بتاريخ الحج، وما يتخلل ذلك من عقيدة، تتلخص في الطاعة المطلقة لله، في أمره سبحانه ونهيه.

يوم عرفة:

الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج فقط، وليس من أعمال العمرة، وذكر الله الإفاضة من عرفات، فقال سبحانه:{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ} (البقرة:198)

ومن فضل الوقوف بعرفة، تتويج أعمال الحاج بعتق رقبته من النار، فعن ابن الْمُسَيَّبِ، قال: قالت عَائِشَةُ: إن رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم ، قال: (ما من يَوْمٍ أَكْثَرَ من أَنْ يُعْتِقَ الله فيه عَبْدًا من النَّارِ من يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ، فيقول: ما أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟!)(*)

* صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة.

يوم الحج الأكبر وخطبة الوداع:

ذكر القرآن الكريم يوم الحج الأكبر في ثنايا آياته الكريمة التي تطرقت للحديث عن الحج، فقال عز وجل: {وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} (التوبة: 3)

اختلف العلماء في المراد بيوم الحج الأكبر، فقيل: يوم عرفة، وقال مالك والشافعي والجمهور هو يوم النحر، ونقل القاضي عياض عن الشافعي أنه يوم عرفة، وهذا خلاف المعروف من مذهب الشافعي، قال العلماء: وقيل: الحج الأكبر للاحتراز من الحج الأصغر، وهو العمرة، واحتج من قال هو يوم عرفة بالحديث المشهور (الحَجُّ عَرَفَة)[1] ومن خطبة الرسول، صلى الله عليه وسلم، يوم النحر في حجة الوداع، ما روي عن ابن عُمَرَ، رضي الله عنهما، قال: قال النبي، صلى الله عليه وسلم، بِمِنًى: (أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هذا؟ قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فقال: فإن هذا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هذا؟ قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: بَلَدٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هذا؟ قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: شَهْرٌ حَرَامٌ، قال: فإن اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا)[2]

وقال هِشَامُ بن الْغَازِ: أخبرني نَافِعٌ عن ابن عُمَرَ، رضي الله عنهما، وَقَفَ النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم النَّحْرِ بين الْجَمَرَاتِ في الْحَجَّةِ التي حَجَّ بهذا، وقال: (هذا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، فَطَفِقَ النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: اللهم اشْهَدْ، وَوَدَّعَ الناس، فَقَالُوا: هذه حَجَّةُ الْوَدَاعِ)[3]

خطبة قليلة الألفاظ والعبارات، عميقة المعاني والعظات، جديرة بالتدبر دائماً، فالعبرة ليست بكثرة الكلام.

1. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى.
2. صحيح مسلم بشرح النووي، 116/9
3. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى.

الإحصار في الحج والعمرة:

مُنع كثير من المتشغفين لأداء مناسك الحج والعمرة مؤخراً، من تحقيق شغفهم، بسبب قاهر يتعلق بالوباء الذي انتشر في أرجاء المعمورة، وفتك بملايين البشر، وما زال الخوف منه قائماً، وهنا يمكن التدبر في حكمة التعرض القرآني لذكر الإحصار في سياق هذه الومضات، فالذي يشرع بأعمال الحج أو العمرة، ويحول دون تحقق الأمر الرباني بإتمامهما مانع قاهر، هو المحصر، الذي شرع سبحانه له مخرجاً لأزمته، من باب رفع الحرج، وتماشياً مع المبدأ المتضمن في قوله تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة:286)

فشرع الله للمحصر أن يخرج من إحصاره بتقديم فدية من الهدي، فقال عز وجل: {فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ...}(البقرة: 196)

جاء في صحيح البخاري، أَبْوَابُ الإحصار، وجزاء الصيد، وفيه باب الْمُحْصَرِ وَجَزَاءِ الصَّيْدِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فما اسْتَيْسَرَ من الْهَدْيِ ولا تَحْلِقُوا رؤوسكم حتى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ} وقال عَطَاءٌ: الْإِحْصَارُ من كل شَيْءٍ يَحْبِسُهُ، قال أبو عَبْد اللَّهِ: حَصُورًا لَا يَأْتِي النِّسَاءَ.[1]

وجاء في البخاري أيضاً: بَاب إذا أُحْصِرَ الْمُعْتَمِرُ، وفيه، عن نَافِعٍ (أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بن عُمَرَ، رضي الله عنهما، حين خَرَجَ إلى مَكَّةَ مُعْتَمِرًا في الْفِتْنَةِ، قال: إن صُدِدْتُ عن الْبَيْتِ صَنَعْتُ كما صَنَعْنَا مع رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فَأَهَلَّ بِعُمْرَةٍ من أَجْلِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، كان أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ) [2]

وعن نَافِعٍ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بن عبد اللَّهِ، وَسَالِمَ بن عبد اللَّهِ، أَخْبَرَاهُ أَنَّهُمَا كَلَّمَا عَبْدَ اللَّهِ ابن عُمَرَ، رضي الله عنهما، لَيَالِيَ نَزَلَ الْجَيْشُ بِابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَا: (لَا يَضُرُّكَ أَنْ لَا تَحُجَّ الْعَامَ، وَإِنَّا

1. مختصر صحيح الإمام البخاري:521/1.
2. صحيح البخاري، كتاب المحصر، باب إذا أحصر المعتمر.

نَخَافُ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فقال: خَرَجْنَا مع رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ دُونَ الْبَيْتِ، فَنَحَرَ النبي، صلى الله عليه وسلم، هَدْيَهُ وَحَلَقَ رَأْسَهُ، وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قد أَوْجَبْتُ الْعُمْرَةَ، إن شَاءَ الله، أَنْطَلِقُ، فَإِنْ خُلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْبَيْتِ، طُفْتُ، وَإِنْ حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَعَلْتُ كما فَعَلَ النبي، صلى الله عليه وسلم، وأنا معه، فَأَهَلَّ بِالْعُمْرَةِ من ذِي الْحُلَيْفَةِ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قال: إنما شَأْنُهُمَا وَاحِدٌ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قد أَوْجَبْتُ حَجَّةً مع عُمْرَتِي، فلم يَحِلَّ مِنْهُمَا، حتى حَلَّ يوم النَّحْرِ، وَأَهْدَى، وكان يقول: لَا يَحِلُّ حتى يَطُوفَ طَوَافًا وَاحِدًا يوم يَدْخُلُ مَكَّةَ)[1]

فالمحرم بحج أو عمرة، إن أحصر، فإنه يذبح ما استيسر من الهدي؛ شاة أو سُبع بدنة، في موضع إحصاره، ويحل من إحرامه، بالحلق أو التقصير، وارتداء المخيط، ويعفى المحصر من الهدي إن كان قد اشترط حين إحرامه، كما هو موضح في حديث البخاري، عن عَائِشَةَ، قالت: (دخل رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، على ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ، فقال لها: لَعَلَّكِ أَرَدْتِ الْحَجَّ؟ قالت: والله لَا أَجِدُنِي إلا وَجِعَةً، فقال لها: حُجِّي وَاشْتَرِطِي، قولي: اللهم مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي، وَكَانَتْ تَحْتَ الْمِقْدَادِ بن الْأَسْوَدِ) [2]

ارتباط المسجد الأقصى في القدس بالمسجد الحرام في مكة

يحاول بعض المشبوهين التساوق مع أهداف المتطلعين لنزع المسجد الأقصى المبارك من ملكية المسلمين، وذلك بالترويج لآراء زائفة ينقضها النص والواقع والتاريخ، ويرفضها علماء السلف والخلف ممن يعتد برأيهم، وتتلخص تلك الصرعات الظالمة في أن المسجد الأقصى المبارك، الذي تم الإسراء إليه يوجد في الجزيرة العربية، وليس الموجود في القدس، يتبرعون بهذا الرأي المغلوط للصهاينة الساعين ليلهم ونهارهم لوضع اليد على قبلة المسلمين الأولى، وحجج المشبوهين فيما ذهبوا إليه ليست واهية فحسب، بل ساقطة؛ لافتقارها إلى الدليل الصحيح، والمنطق السليم، اللهم إلا الشطط في التأويل، المخلوط بزعم الموضوعية والعلمية ونضج الرأي، وهم من ذلك براء، براءة الذئب من دم يوسف، عليه السلام.

1. صحيح البخاري، كتاب المحصر، باب إذا أحصر المعتمر.
2. صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين

وبمناسبة ومضات الأمر بإتمام الحج والعمرة لله، يحسن التذكير بالصلة الوثيقة الثابتة بالنص القرآني والحديث النبوي بين المسجد الحرام في مكة المكرمة، موطن الحج والعمرة، وبين المسجد الأقصى في القدس، المغتصب من الظالمين، أعداء الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، والمسلمين، ودينهم القويم، فمن المسجد الحرام في مكة المكرمة، أسري بالنبي محمد، صلى الله عليه وسلم، إلى بيت المقدس، في حادثة سطرتها فاتحة السورة القرآنية المسماة بها (الإسراء)، فقال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}(الإسراء:1)

والمسجد الأقصى كان الثاني في الوجود بعد المسجد الحرام، حسب حديث أَبِي ذَرٍّ، رضي الله عنه، قال: (قلت يا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأرض أَوَّلَ؟ قال: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قال: قلت: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قلت: كَمْ كان بَيْنَهُمَا؟ قال: أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فإن الْفَضْلَ فيه)(*)

والمسجد الأقصى المبارك كان القبلة الأولى قبل التحول إلى المسجد الحرام، ومن الآيات القرآنية التي أشارت إلى هذه القضية وأبعادها قوله جل شأنه: {سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ * قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} (البقرة:142 - 144)

---

* صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب منه

وعن الْبَرَاءِ، (أَنَّ النبي، صلى الله عليه وسلم، كان أَوَّلَ ما قَدِمَ الْمَدِينَةَ، نَزَلَ على أَجْدَادِهِ، أو قال: أَخْوَالِهِ من الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صلى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أو سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وكان يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صلى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا، صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى معه قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صلى معه، فَمَرَّ على أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فقال: أَشْهَدُ بِاللَّهِ، لقد صَلَّيْتُ مع رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كما هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَتْ الْيَهُودُ قد أَعْجَبَهُمْ، إِذْ كان يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ فلما وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، أَنْكَرُوا ذلك، قال زُهَيْرٌ: حدثنا أبو إِسْحَاقَ عن الْبَرَاءِ في حَدِيثِهِ هذا، أَنَّهُ مَاتَ على الْقِبْلَةِ قبل أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ، وَقُتِلُوا فلم نَدْرِ ما نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: {وما كان الله لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ})[1]، ففي الحديث ذكر واضح وصريح بأن القبلة الأولى كانت إلى بيت المقدس.

والمسجد الأقصى المبارك يتشارك مع المسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبوي في المدينة المنورة في حصر تشريع شد الرحال إليها، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ؛ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ، صلى الله عليه وسلم، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى)[2]

فهذه ومضات في ضوء الأمر الرباني بإتمام الحج والعمرة {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ...} (البقرة: 196) يسر الله التطرق إليها، والوقوف عندها، عسى أن تكون نبراساً للمتدبرين الباحثين عن الحقيقة الدامغة، ولعلَّ أن يكون في التذكير بها نفع للمؤمنين والباحثين عن الحقيقة بتجرد وموضوعية.

1. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان.
2. صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.

ما يقوم من الأعمال العظام
عند العجز عن الحج إلى بيت الله الحرام

الشيخ أحمد خالد شوباش
مفتي محافظة نابلس

الحج إلى بيت الله الحرام من أفضل الأعمال عند الله تعالى بعد الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيل الله، ويترتب عليه مغفرة الذنوب، ودخول الجنة إذا كان مبروراً بفعل الطاعات، وتجنب الآثام والمحرمات، وأن يكون الإنفاق عليه من مال حلال.

وقد يقع للبعض أفرادٍ أو جماعات بسبب ظروف قاهرة وأحوال طارئة التخلف عن الحج، والعجز عن أدائه، لقلة المال، أو لضعف البدن وعجزه، أو بسبب جائحة أو نازلة تتعلق بالمرض والعدوى، تمنع الناس من السفر إلى البقاع الطاهرة، وتحبسهم عن المشاهد والمواقف، وتحصرهم عن بيت الله الحرام.

فهل من أعمال تقوم مقام ذلك النسك العظيم حتى يأذن الله للمشتاقين إلى بيته وحرمه زيارتهما؟!

فضل التسبيح والتحميد والتكبير:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (جَاءَ الفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ(*) مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلَا، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ

* الدثور جمع دَثْر وهو المال الكثير، ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة دثر، جزء 2 صفحة 100، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر الزاوي - محمد الطناحي، عدد الأجزاء: 5.

كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: (أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ، تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ»، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ). [1]

فالنبي، صلى الله عليه وسلم، أرشد الفقراء الذين لا يجدون مالاً للحج والعمرة والصدقة والإنفاق في سبيل الله، إلى الذكر بعد الصلوات الخمس، مما يلحقهم بالأجر الذي يحصل عليه الأغنياء.

وفي رواية مسلم، قَالَ أَبُو صَالِحٍ: (فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ). [2]

وهذا يدل على أفضل أعمال البر المتعلقة بالأموال، مما لا سبيل للفقير إليها، ولا قدرة له عليها.

والمال إذا أنفقه العبد في طاعة الله، واستعان به على فعل الخيرات التي تقربه إلى الله وتوصله إليه، كان أفضل النعم، وبئس المال الذي يشغل عن طاعة الله، وينفق في المحرمات والمعاصي، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (يَا عَمْرُو، نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ). [3]

1. صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة.
2. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة.
3. مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث عمرو بن العاص عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وقال الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم.

المعذورون شركاء في الأجر:

من حبس عن عبادة لعذر، كان شريكاً للعابد في الأجر، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: (إِنَّ بِالمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ).[1] وفي رواية البخاري: (وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ).[2]

فقد ينوي العبد العمل الصالح، فيحبسه عنه حابس، فينال أجر النية، وقد يعتاد المرء على العبادة وهو صحيح مقيم، فيحبسه المرض أو السفر عن تلك العبادة، فينال أجرها كاملاً من غير نقص لحرصه عليها.

إن تطلع العبد إلى العمل الصالح، وغبطة من يمارسه مع عجزه عنه، يلحقه بأجر من يعمله، وهذا باب من أبواب التنافس والغبطة المشروعة، والحسد المباح، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ).[3]

إن من عجز عن عمل الخير، وتمنى حصوله، وتأسف لعجزه، وتعذر أداؤه كان شريكاً لفاعله في الفعل والأجر.

---

1. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر.
2. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب منه.
3. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن.

فضل العمل الصالح في عشر ذي الحجة:

العمل في عشر ذي الحجة يفضل على الجهاد في سبيل الله، ويفوقه، إلا من خرج بنفسه وماله ولم يرجع منهما بشيء، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (مَا العَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ، قَالُوا: وَلاَ الجِهَادُ؟ قَالَ: وَلاَ الجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ) .[1] والعمل يشتمل أنواع العبادات كالصلاة والتكبير والذكر والصوم وغيرها.

أعمال يبلغ أجرها أجر الحج:

من محاسن الإسلام، أنه أعطى لعباد الله أبواباً لتحصيل أجر الحج، وشرع لهم أعمالاً يبلغون بها عند العجز عن التطوع بالحج أجر أدائه، خاصة أن الله وضع في قلوب الخلق الحنين إلى بيته العظيم، والشوق إلى النظر إليه، وذلك لمّا كانت نفوسهم معلقة به، تتوق إليه، وهم يعجزون عن بلوغه كل عام، وقد لا يتمكن الراغبون في الوصول إليه هذا العام، كما يعجز الكثيرون عن بلوغه لأعوام.

- من ذلك، ما ورد عَنْ أَنَسٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ صَلَّى الغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ»).[2]

- ومن ذلك ما ورد عن أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى، لَا

1. صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق.
2. سنن الترمذي، أبواب السفر، باب ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

يَنْصِبُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ، وَصَلَاةٌ عَلَى أَثَرِ صَلَاةٍ، لَا لَغْوَ بَيْنَهُمَا، كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ) .[1]

إن أداء الواجبات كلها خير من التنفل بالحج والعمرة وغيرهما، وبعض الناس يهون عليه تكرار الحج والعمرة ولا تطاوعه نفسه لرد المظالم وأداء الواجبات، ومن الناس من يثقل عليه ترك كسب الحرام، ويسهل عليه الإنفاق في الحج ولو من حرام.

ومن أبواب تحصيل أجر الحج في قضاء حوائج الناس، ما فهمه سلفنا الصالح من هذا الدين، يقول الحسن البصري: " مشيك في حاجة أخيك خيرٌ لك من حجة بعد حجة".[2]

تسليمة ومواساة:

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: " إن حبستم العام عن الحج، فارجعوا إلى جهاد النفوس، فهو الجهاد الأكبر، أو أحصرتم عن أداء النسك، فأريقوا على تخلفكم من الدماء ما تيسر، فإن إراقة الدماء لازمة للمحصر، ولا تحلقوا رؤوس أديانكم بالذنوب، فإن الذنوب حالقة الدين، ليست حالقة الشعر، وقوموا لله باستشعار الرجاء والخوف، مقام القيام بأرجاء الخيف والمشعر، ومن كان قد بعد عن حرم الله، فلا يبعد نفسه بالذنوب عن رحمة الله، فإن رحمة الله قريب ممن تاب إليه واستغفر، ومن عجز عن حج البيت، أو البيت منه بعد، فليقصد رب البيت، فإنه ممن دعاه ورجاه أقرب من حبل الوريد" .[3]

والله أعلم

1. سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ماجاء في فضل المشي إلى الصلاة، وحسنه الألباني.
2. ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد، قضاء الحوائج، صفحة 89، المحقق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة القرآن - القاهرة، عدد الأجزاء: 1.
3. ابن رجب الحنبلي: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، صفحة 444، تحقيق: ياسين محمد السّواس، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1992م، عدد الأجزاء: 1.

آياتٌ وأشواقٌ في رحابِ المسجدِ الحرامِ

الشيخ عمار بدوي
مفتي محافظة طولكرم

منذ أن تلوحَ في الأفق تباشيرُ القبول في ركب الحجيج؛ تبدأ الأخيلةُ ترسم رحلةَ الطريق، وما فيها من مشاهد الوعرِ والسهل، والوِهاد، ومفاوزِ الصحراء الممتدة إلى أطراف الجغرافيا العربية. وما تكاد تسكنُ تلك الأخيلة، حتى تعود مرة أخرى صوراً تتزاحم؛ تؤجج الشوق إلى الحرم النبوي بالمدينة المنورة، وزيارة المرقد الطاهر للنبي، صلى الله عليه وسلم، والصلاة في الروضة الشريفة.

صور رائعة مخضّلة بدموع الشوق، تتراءى لحجاج بيت الله العتيق، وهم يتجهون لمكّة المكرمة، متنزل الوحي من السماء، وهناك في رحاب المسجد الحرام مشاهد رائعات، وآيات بيّنات، ومعالم خالدة، وأشواق تربط الماضي بالحاضر، بقيت على مدار الزمن، ولم تندثر، وطوتْ آلاف السنين، ولم تنطوِ، وبادت دولٌ حاولت طمسها، وبقيت الآيات بارزة شاهدة.

وفي مثل هذه الأيام، تثور لواعجُ الشوق، وتطيرُ قلوبُ المحبين، مع قوافل الحجيج الميمّمين شطر المسجد الحرام؛ فكلما سارت قافلة، أو حدا حادي الركبان بالحجاج؛ غمرت أمواجُ الشوق القلوب، وعبّقت النسائم القدسية في بُرديّ الهائمين بالبيت العتيق.

هناك حيث المسيرُ الطويل الوعر، الذي شقّ طريقَه، جدُنا الخليل إبراهيم، عليه السلام؛ يحمل على عاتقه، أبانا إسماعيل، عليه السلام؛ حينما كان وليداً؛ يقطع به المفاوزَ الوعرة، ومجاهيل الطرقات؛ فاستودعَ الله تعالى طفلاً قادماً من فلسطين، استودعه في ذلك

الوادي المقفر بين الصخور السوداء الصلداء، فاصطفاه الله سبحانه وتعالى نبيّاً في الصالحين، فقدّر لذلك الطفل أن يكون مختاراً، {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} (مريم:54)؛ فكان الطفل اليافع أَهْلاً للصعاب، وصاحب العزم المشدود، والصابر على لظى الصحراء، وحرّ الرمضاء، عزمه أصلب من الصخر الأصم حوله، وأمله أوسع من الصحراء تلفّه، هكذا نشأ أبونا إسماعيل قويّاً؛ يمضي فيها ما قدّر له الله أن يمضي؛ ليكون من نسله النّجيب سيّد الثقلين، وإمام المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين محمد، صلى الله عليه وسلم، فالنطفة تلد النطفة؛ فَنُسِلَ محمد، صلى الله عليه وسلم، من ظهر ذلك النبي الكريم إسماعيل، وأطلق عليه العرب لقب "ابن الذبيحين"[1].

وفي هذه العجالة، أجول في رحاب البيت العتيق؛ لنقلب النظر في بعض تلك الآيات الخالدة، والأشواق الثائرة، ومن هذه الآيات التي تتراءى في أذهان مشاهديها:

أولاً: مقام إبراهيم، عليه السلام

مقام إبراهيم في المسجد الحرام، هو المذكور في قوله تعالى: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ} (آل عمران: 97)، تعددت أقوال المفسرين في موضع مقام إبراهيم، ورجّح الطبري إمام المفسرين مكان المقام؛ فقال: وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ عِنْدَنَا مَا قَالَهُ الْقَائِلُونَ: إِنَّ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الْمَقَامُ الْمَعْرُوفُ بِهَذَا الِاسْمِ، الَّذِي هُوَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ[2]. وعن ابن عباس: فَلَمَّا ارْتَفَعَ الْبُنْيَانُ، وَضَعُفَ الشَّيْخُ عَنْ رَفْعِ الْحِجَارَةِ، قَامَ عَلَى حَجَرٍ، فَهُوَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ"[3]. ومما يؤيد أنّ مقام إبراهيم هو المعروف اليوم، ما رواه جابر بن عبد الله أنّ النبي، صلى الله عليه وسلم، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، فَرَمَلَ ثَلَاثًا، وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَام[4]. وقد أمر الله تعالى بالصلاة عند المقام، فقال:{وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} (البقرة: 125)

---

1. ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم. 20/4. يقصدون بذلك الذبيح إسماعيل، عليه السلام، ووالد النبي، صلى الله عليه وسلم، عبد الله كما في قصة عبد المطلب.
2. تفسير الطبري. تحقيق محمود شاكر. 36/2.
3. تفسير الطبري. تحقيق محمود شاكر. 35/2.
4. صحيح مسلم، كتاب الحج، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن حجر: انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى جَوَازِ الصَّلَاةِ إِلَى جَمِيعِ جِهَاتِ الْكَعْبَةِ، فَدَلَّ عَلَى عَدَمِ التَّخْصِيصِ، وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ الْحَجَرُ الَّذِي فِيهِ أَثَرُ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ مَوْجُودٌ إِلَى الْآنِ[1].

فهذا مشهد يعود بالمؤمنين إلى آلاف السنين، إلى كلمة التوحيد الجذر الضارب في أعماق الأرض، والوارف الظل في جنبات السماء، يتمثل ذلك بسيدنا إبراهيم، عليه السلام، غارس دعوة التوحيد في قلوب المؤمنين.

ثانيا: الركن "الحجر الأسود"

لِلْبَيْتِ أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ، الْأَوَّلُ لَهُ فَضِيلَتَانِ، كَوْنُ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِيهِ، وَكَوْنُهُ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَلِلثَّانِي الثَّانِيَةُ فَقَطْ، وَلَيْسَ لِلْآخَرَيْنِ شَيْءٌ مِنْهُمَا، فَلِذَلِكَ يُقَبَّلُ الْأَوَّلُ، وَيُسْتَلَمُ الثَّانِي فَقَطْ، وَلَا يُقَبَّلُ الْآخَرَانِ، وَلَا يُسْتَلَمَانِ، هَذَا عَلَى رَأْيِ الْجُمْهُورِ [2].

والأول هو الحجر الأسود، والثاني هو الركن اليماني.

والحجر الأسود من الجنة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَزَلَ الحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنَ الجَنَّةِ، وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ»[3]. و قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَأْتِي الرُّكْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مِنْ أَبِي قُبَيْسٍ، لَهُ لِسَانٌ وَشَفَتَانِ"[4]، وقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرُّكْنَ، وَالمَقَامَ يَاقُوتَتَانِ مِنْ يَاقُوتِ الجَنَّةِ، طَمَسَ اللَّهُ نُورَهُمَا، وَلَوْ لَمْ يَطْمِسْ نُورَهُمَا لَأَضَاءَتَا مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ"[5]. وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الحَجَرِ الأسود: «وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ»[6].

1. فتح الباري.499/1.
2. فتح الباري. 475/3.
3. سنن الترمذي، أبواب الحج. بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ، وَالرُّكْنِ، وَالمَقَامِ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح
4. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة. مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.
5. سنن الترمذي، أبواب الحج، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ، وَالرُّكْنِ، وَالمَقَامِ، وصححه الألباني. في صحيح الجامع الصغير.336/1.
6. سنن الترمذي، أبواب الحج. بَابُ مَا جَاءَ فِي الحَجَرِ الأَسْوَدِ، وصححه الألباني

ثالثاً: الحطيم؛ الحِجر

الْحِجْرُ كُلُّ بِنَاءٍ بنيته، وَمَا حجرت عَلَيْهِ من الأَرْض فَهُوَ حِجْرٌ، وَمِنْهُ سُمِّيَ حَطِيمُ الْبَيْتِ حِجْرًا. وسُمِّيَ حُطَامًا، لِأَنَّهُ أُخْرِجَ مِنَ الْبَيْتِ، وَتُرِكَ هُوَ مَحْطُومًا. وَقِيلَ سُمِّيَ حَطِيمًا؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَطْرَحُ فِيهِ ثِيَابَهَا الَّتِي تَطُوفُ فِيهَا، وَتَتْرُكُهَا حَتَّى تَتَحَطَّمَ، وَتَفْسُدَ بِطُولِ الزَّمَانِ، وَقِيلَ سُمِّيَ حَطِيمًا لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْكَعْبَةِ، فَأُخْرِجَ عَنْهَا، وَكَأَنَّهُ كُسِرَ مِنْهَا[1].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ فَلْيَطُفْ مِنْ وَرَاءِ الحِجْرِ، وَلاَ تَقُولُوا الحَطِيمُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَ يَحْلِفُ فَيُلْقِي سَوْطَهُ أَوْ نَعْلَهُ أَوْ قَوْسَهُ»[2].

وشهد الحِجر أحداثاً جساماً، تثور في ذهن من شاهده، أو صلى في رحابه، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ: (بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ، - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الحِجْرِ - مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ)[3]. والحِجر: من قبل الشام، وفيه الميزاب، قد ألبست حيطانه بالرخام مع أرضه، ويسمونه الحطيم. ومن هذا المكان الطاهر انطلق النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى القدس الشريف في رحلة الإسراء والمعراج. فحيثما قلّبت النظر سطعت أنوار الإيمان، وقبسُ النور في مشاهد الحرم، وساحه الفسيح. وحيثما حللتَ في الحرم المكي كانت قصة تربط بينه وبين المسجد الأقصى، كأنهما من رَحِمٍ واحد.

رابعاً: عين زمزم

يبحرُ الخيال في أعماق التاريخ، يستذكر الفتى إسماعيل القادم من فلسطين مع أبيه إبراهيم، عليه السلام؛ ليستقر بواد غير ذي زرع، ومعه أمه الحيرى، كيف ستسقي وليدها العطشان، تسعى بين الصفا والمروة، فلا ترى إلا الأرض القاحلة الجدباء، والوهاد الجرداء، والشمس التي يستعر لهيبُها، والمنبعث من لظى الصحراء. وَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ

1. فتح الباري، 379/6.
2. صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب منه.
3. صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج.

السَّلَامُ، فَهَمَزَ لَهُ بِعَقِبِهِ فِي الْأَرْضِ، فَظَهَرَ الْمَاءُ، وَسَمِعَتْ أُمُّهُ أَصْوَاتَ السِّبَاعِ، فَخَافَتْهَا عَلَيْهِ، فَجَاءَتْ تَشْتَدُّ نَحْوَهُ، فَوَجَدَتْهُ يَفْحَصُ بِيَدِهِ عَنْ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ خَدِّهِ وَيَشْرَبُ، فَجَعَلَتْهُ حِسْيًا، فكانت عين زمزم. وَهِيَ بِئْرُ إِسْمَاعِيل[1].

وما زالت زمزم منذ آلاف السنين تسقي زائريها، ويحملون ماءها إلى أوطانهم، ولم تنضب عينها، ولم يجف ينبوعها.

إنها آية كريمة من الآيات العظام في المسجد الحرام. ومن كرم الله أصبحت زمزم علاجاً، وشفاء لمن نوى، ونال مقاصدها، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَاءُ زَمْزَمَ، لِمَا شُرِبَ لَهُ"[2].

خامساً: الملتزم

يقع الملتزم ما بين الحَجر الأسود وباب الكعبة. كان ابن عباس، رضي الله عنهما، يقول: «مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْبَابِ الْمُلْتَزَمُ»[3]

وسمي الملتزم بذلك، لكثرة التزام الناس إياه، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، أَنَّهُ كَانَ يَلْزَمُ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْبَابِ، وَكَانَ يَقُولُ: "مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْبَابِ يُدْعَى الْمُلْتَزَمَ، لَا يَلْزَمُ مَا بَيْنَهُمَا أَحَدٌ يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ "[4]. وعن عبد الله بن عمرو أنه اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ قَامَ بَيْنَ الْحَجَرِ، وَالْبَابِ، فَأَلْصَقَ صَدْرَهُ، وَيَدَيْهِ، وَخَدَّهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَفْعَلُ»[5].

والملتزم قيل فيه:هنا تسكب العبرات.

يرى زائر الحرم المتبتلين يلصقون صدورهم، وأيديهم يسكبون العبرات، تمسح الذنوب، وتذيب الخطايا.

1. سيرة ابن هشام. 111/1.
2. سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم، وصححه الألباني.
3. موطأ مالك، 424/1.
4. سنن البيهقي، 268/5.
5. سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب الملتزم، قال الألباني: حسن.

سادساً: الكعبة المشهد العظيم

المشـهد العظيـم الـذي يأخـذ بالألبـاب، وتخفـق لـه قلـوب المؤمنـين، هـو مشـهد الكعبـة المشـرفة بهيبتهـا ووقارهـا، وعظمتهـا، تتوسـط المسـجد الحـرام، يطـوف حولهـا الحجـاج والمعتمـرون والطائفـون الركـع السـجود.

ومما تثيره الكعبة المشرفة من شجون، قصة الفتى اليافع إسماعيل، القادم من أرض فلسطين، من أكناف بيت المقدس، ليرفع بساعديه حجارة الكعبة المشرفة؛ ليضعها بين يدي أبيه إبراهيم، عليه السلام، { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (البقرة: 127) هذا الفتى الهمام، لم تذكر قصته أنه بنى بيتاً لأهله، وإنما بنى بيتاً يذكر فيه اسم الله تعالى، والنبي إسماعيل هو جد العرب.

وفي كل بقعة، ومشهد بالمسجد الحرام؛ تظهر لنا خيالات بالمسجد الأقصى المبارك وفلسطين، أشواقٌ تثير أشواقاً. وعبّرت عن هذه الأشواق بين المسجدين الطاهرين شعراً بقصيدتي "أشواق بين المسجدين"، قلتُ فيها:

النَّفسُ للبيتِ العتيقِ تتوقُ ... والشاهدانِ الفجرُ ثمّ شروقُ

والمسجدُ الأقصى تألّم شامخاً ... يرثيه رعدٌ قاصفٌ وبروقُ

والكعبةُ الغراءُ تذرِفُ دمعَها ... تركوكَ يا أقصى وذاكَ عُقوقُ

حدّثتُها عن قِبْلةٍ كانت لنا ... فغدتْ يصارِعُها الأذى والبوقُ

لهفي عليكَ وقد عَلَتْكَ كآبةٌ ... تعلو الجبينَ ومِنبَرٌ محروقُ

تكبيرُكَ العالي يُضمِّخُ مسمعي ... يوم ابتداه الفاتحُ الفاروقُ

شوقٌ للحج

شعر: زهدي حنتولي
موظف إداري/ مكتب نائب المفتي العام

في كلّ عـامٍ مـع الحجـاج قافيـتي ... تـسري من القـدسِ شـطرَ البيـتِ في الحرمِ

مـن درّةِ التـاجِ، مـنْ أرضٍ مباركـةٍ ... تلقـي تحيّـةَ أرضِ الطّهـرِ والأَكَـمِ

تخـطُّ حبّـاً لهـا تـزدادُ لوعتـهُ ... مـا جـال في القلـب أو مـا دار في القلـمِ

تعيـدني مـن رحـابِ الفكرِ ذاكـرتي ... فتـشرقُ الشّـمسُ مـن بَوْحـي ومـن كلمـي

قصيـدةً صدتهـا مـن وحـي أمنيـتي ... حلَلْتُهـا ناظمـاً في الأشـهرِ الحـرُمِ

في موسـمِ الحـجِّ بي شـوقٌ يخـضُّ دمـي ... يزيـدُ عامـاً عـلى عـامٍ بـلا سـأمِ

شـوقٌ إلى الكعبـةِ الغـرّاء يحملـني ... كيمـا أراهـا بفيـضِ الأعـينِ السّـجُمِ

عـلى سـنا الـبرقِ أمـضي نحوهـا لهفـاً ... ولوعـةً للقـاءٍ طـالَ في الحُلُـمِ

تـكاد دقّـاتُ قلـبي حـالَ رؤيتهـا ... تـترى انسـجاماً بهـا في حسْـنِ منتظـمِ

في منظـرٍ تُعجـزُ التصويـرَ صورتُهـا ... مـن ومضـةٍ تسـبقُ الأنـوارَ في الظُلَـمِ

تـرى الجمـوعَ مـن الأنحـاءِ قاطبـةً ... جـاءوا يلبّـونَ مـن عـرْبٍ ومـنْ عجَـمِ

عـلى اختـلافِ لغـاتِ الأرضِ يجمعهـم ... ذاك النـداء بقلـبٍ غـيرِ ذي سـقَمِ

موحّديـنَ بلـونٍ لا يفرّقهـم ... لـون التبايـنِ بـين السـهلِ والعَلَـمِ

والـكلُّ كالمشـطِ في أسـنانهِ مثـلاً ... فـلا تمايـز بـين القـدرِ والقيـمِ

كأنهـم بلقـاء الحـجِّ قـد مَلكـوا ... مفـازةً عظمـت في الأجـرِ والنّعـمِ

ويطمعـون لغفـرانٍ يضمّهـمُ ... ويندمـون عـلى مـا كان مـن لَمَـمِ

وفي الطّـوافِ تـدورُ الأرضُ باسـمةً ... ويعبـقُ الطيـب منهـا كلّ ذي نسـمِ

كأنّهـم فيـهِ طيـفٌ طـافَ متّحـداً ... فصـارَ لونـاً وحيـداً غـير منقسـمِ

ومـنْ فلسـطينَ قصّـادٌ يرافقهـم ... هـمّ البـلادِ شـعوراً في دعائهـمِ

عيونهـمْ شـطرها ترنـو عـلى سـكَنٍ ... تعانـقُ المسـجد الأقـصى ولـمْ تنـمِ

والقـدسُ حـاضرةٌ في كلِّ ثانيـةٍ ... يقضونهـا بفـؤادٍ عـاليَ الهمـمِ

توقير العلماء فريضة دينية وضرورة دنيوية

إعداد: د. نعيم هدهود موسى
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه، وبعد؛

فإن الله عز وجل رفع قدر العلماء، وأعلى منزلتهم، وبين فضلهم ومكانتهم، وميزهم عن غيرهم بما حملوا من العلم، وأوجب احترامهم وتوقيرهم، وحرم إيذاءهم وازدراءهم والاستخفاف بهم، ونبين في هذا المقال بعض حقوق العلماء، وهي على النحو الآتي:

وجوب احترام العلماء وتوقيرهم وتعظيم حرماتهم:

قال الله تعالى :{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (النساء: 59).

فقد أمر الله تعالى بطاعة أولي الأمر بعد طاعة الله عز وجل ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وقد قال ابن عباس، رضي الله عنه، وغيره: هم أهل الفقه والدين؛ لأنه لا يستقيم للناس أمرُ دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعةً لله ورغبةً فيما عنده، ولكنْ بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق(*).

وقال الله عز وجل: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} (الزمر: 9).

* تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 2/ 345، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص 183.

فهذه الآية تدل على وجوب احترام العلماء وتوقيرهم، والاعتراف بفضلهم ومكانتهم، ذلك أنهم أعلم الناس بالله تعالى، وأعرفهم بالحق، بخلاف السفهاء الذين طغى الجهل على عقولهم، فأعمى أبصارهم وقلوبهم، وشتان بين الفريقين.

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنَّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قَالَ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)[1].

ففي هذا الحديث رفع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، شأن العلماء، وجعلهم في علوهم ومكانتهم وفائدتهم بمنزلة القمر على سائر الكواكب، كما جعلهم ورثة الأنبياء الذين تجب طاعتهم، والسير على خطاهم، وتعظيمهم وتوقيرهم؛ لأنهم ما وصلوا إلى هذه الدرجة إلا بالعلم الذي حازوه، والفقه الذي بلغوه، فهم يسيرون على خطى الأنبياء، في الدعوة وتبليغ العلم والفقه، والأخذ بيد الناس إلى سبل الهدى والرشاد.

قال الغزالي: ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة[2].

وعن أَبي مُوسى الأَشْعَرِيّ، رضي الله عنه، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم: إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ)[3]

والعلماء هم حاملو كتاب الله عز وجل، وقد شابت رؤوسهم ولحاهم في طلب العلم، وتبليغ دين الله تعالى، وتعليم الناس الخير.

1. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.
2. إحياء علوم الدين، للغزالي: 1 /13.
3. سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، وحسنه الألباني.

ولقد كان الصحابة، رضوان الله عنهم، يعرفون قدر العلماء، وينزلونهم منازلهم. قال الشعبي: ذهب زيد بن ثابت، رضي الله عنه، ليركب، ووضع رجليه في الركاب، فأمسك ابن عباس، رضي الله عنهما، بالركاب، فقال: تنح يا ابن عم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: لا، هكذا نفعل بالعلماء والكبراء „[1].

وكان الشيخ شمس الدين الديروطي (ت 921هـ) إذا مَرَّ على فقيه، ينزل عن دابته ويسوقها أمامه، ويُقَبِّلُ يدَه، ثم لا يركب حتى يبعد عنه جدًّا ويتوارى عنه بجدار أو نحوه، مع أنه بلغ في العلم الغاية، وشرح كتاب „المنهاج" وغيره[2].

النهي المؤكد عن إيذاء العلماء والوعيد الشديد لانتقاصهم:

لقد توعد الله تعالى من يؤذي العلماء، وينتقص قدرهم بالعذاب والنكال في الدنيا والآخرة؛ لأن العلماء أولياء الله سبحانه، وأعلام الأمة، ومنارات الهدى.

قَالَ اللهُ تعالى : {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ } (الحج:30).

وقَالَ عز من قائل: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ }(الحج:32).

وفي هاتين الآيتين يؤكد ربنا عز وجل على تعظيم حرماته، وهي كل ما له حرمة، وأمر باحترامه، بعبادة أو غيرها، وكذلك أعلام الدين الظاهرة؛ كالمناسك كلها، وكالحرم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها، ومن ذلك تعظيم العلماء وتوقيرهم، فهم أعلام الأمة، ومنارات الهدى[3].

قَالَ اللهُ تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} (الأحزاب: 58)

يتوعد ربنا سبحانه الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بالعذاب المهين، الذي نتج عن إثمهم وبهتانهم، وظلمهم وغيهم الذي أصابوا به هؤلاء المؤمنين، ومن أشد الإثم والبهتان إيذاء الأنبياء والمرسلين، وأزواجهم وذرياتهم، وورثتهم في الدين والعلم والدعوة، وهم العلماء.

1.الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي: 2 /99.

2. الأنوار في آداب الصحبة عند الأخيار، للشعراني: ص 134.

3. تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ص 537.

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه، قال: قال رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم:(إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ)[1].

قال الحافظ ابن حجر: الولي: هو العالم بالله، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته[2].

وعن الإمامين الجليلين؛ أبي حنيفة والشافعي -رحمهما الله تعالى- قالا: „ إن لم يكن العلماء أولياء الله عز وجل، فليس لله وليٌّ „[3].

وَقَالَ الإِمَامُ الحَافِظُ أَبُوْ الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرَ: „ اعْلَمْ يَا أَخِيْ -وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ لِمَرْضَاتِهِ، وَجَعَلَنَا مِمَّنْ يَخْشَاهُ وَيَتَّقِيْهِ حَقَّ تُقَاتِهِ-: أَنَّ لُحُوْمَ العُلَمَاءِ مَسْمُوْمَةٌ، وَعَادَةُ اللهِ فِي هَتْكِ أَسْتَارِ مُنْتَقِصِيْهِمْ مَعْلُوْمَةٌ، وَأَنَّ مَنْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ فِيْ العُلَمَاءِ بِالثَّلْبِ بَلَاهُ اللهُ سبحانه وتعالى قَبْلَ مَوْتِهِ بِمَوْتِ القَلْبِ، {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (النور: 63) „[4].

قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي -رحمه الله-: „ قلت يومًا للأستاذ أبي سهل في كلام يجري بيننا: لِمَ ؟. فقال لي: أما علمت أن من قال لأستاذه لِمَ؛ لا يفلح أبدًا „[5].

قال أبو عبد الله الطرفي المقرئ -رحمه الله-: „ كان عندنا بقرطبة رجل فيه بعض الحدَّة، وكان له على الشيخ أبي محمد مكي بن أبي طالب تسلط، وكان يدنو منه إذا خطب، فيغمزه ويحصي عليه سقطاته، وكان الشيخ كثيرًا ما يتلعثم ويتوقف، فحضر ذلك الرجل في بعض الجمع، وجعل يُحِدُّ النظر إلى الشيخ ويغمزه، فلما خرج معنا ونزل في الموضع الذي كان يقرأ فيه، قال لنا: أمنوا على دعائي، ثم رفع يديه، وقال: اللهم اكفنيه، اللهم اكفنيه، فأمَّنَّا، قال: فأقعد ذلك الرجل، وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم „[6].

1. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.
2. فتح الباري، لابن حجر: 11 /477.
3. الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه: 1 /35 - 36.
4. ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص 29. وانظر: النووي: آداب العالم والمتعلم، ص 22.
5. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي: 3/ 171.
6. وفيات الأعيان، لابن خلكان: 4 /478 - 479.

العلماء أفنوا أعمارهم في طلب العلم:

إن العلماء ما وصلوا إلى هذه الرتبة، وبلغوا تلك المنزلة إلا لأنهم طلبوا العلم لوجه الله تعالى أولًا، ثم تركوا النوم والكسل، وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد، ورحلوا في البلاد، وقطعوا المسافات، وحافظوا على أوقاتهم، وأفنوا أعمارهم في سبيل طلب العلم.

قال أبو حاتم الرازي: „ أول ما رحلت أقمت سبع سنين، ومشيت على قدميَّ زيادة على ألف فرسخ، ثم تركت العدد، وخرجت من البحرين إلى مصر ماشيًا، ثم إلى الرملة ماشيًا، ثم إلى طرسوس ماشيًا، ولي عشرون سنة „[1].

قال ابن المقرئ: مشيت بسبب نسخة المفضِّل بن فَضالة المصريِّ سبعين مرحلةً، ولو عُرضت على خباز برغيف لم يقبلها، ودخلت بيت المقدس عشر مرات[2].

كان الإمامُ البخاريُّ، رحمه الله، يستيقظ في الليلةِ الواحدةِ من نومه، فيوقدُ السراجَ، ويكتبُ الفائدة تَمُرُّ بخاطره، ثم يطفئُ سراجه، ثم يقومُ مرَّةً أخرى وأخرى، حتى كان يتعددُ منه ذلك قريبًا من عشرين مرَّةً[3].

قال الربيع بن سليمان: „ خرجت مع محمد بن إدريس الشافعي -رحمه الله- من الفسطاط إلى الإسكندرية مرابطًا، وكان يصلي الصلوات الخمس في المسجد الجامع، ثم يسير إلى المحرس، فيستقبل البحر بوجهه جالسًا يقرأ القرآن في الليل والنهار، حتى أحصيت عليه ستين ختمة في شهر رمضان „[4].

العلماء حاملو لواء الشريعة، ومجاهدو الكلمة، ومبينو الحق:

روى البخاري ومسلم عن مُعاويةَ بن أبي سفيان، رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ، صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ)[5].

1. تذكرة الحفاظ، للإمام الذهبي: 2 /233.
2. تذكرة الحفاظ، للإمام الذهبي: 2 /973.
3. البداية والنهاية، لابن كثير: 11 /25.
4. مناقب الشافعي، للبيهقي: 2 /158.
5. صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.

فالعلماء هم الذين يحملون راية التوحيد، ويبلغون رسالات الله تعالى بعد الأنبياء والمرسلين، ويجاهدون في إعلاء كلمة الله عز وجل، وهم القائمون على أمر الله تعالى، ولا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم، ولا من ناوأهم، ولا من آذاهم حتى يأتي أمر الله تعالى.

قال أبو الدرداء، رضي الله عنه: „ من رأى الغدو والرواح إلى العلم ليس بجهاد، فقد نقص عقله ورأيه „[1].

قال الإمام ابن القيم „ وإنما جعل طلب العلم من سبيل الله؛ لأن به قوام الإسلام، كما أن قوامه بالجهاد، فقوام الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين: جهاد باليد والسنان، وهذا المشارك فيه كثير، والثاني: الجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين؛ لعظم منفعته، وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه ...، فهذا جهاد لهم بالقرآن، وهو أكبر الجهادين، وهو جهاد المنافقين أيضًا „[2].

العلماء موحدو الكلمة وجامعو الصف:

إن العلماء دائمًا يعملون على وحدة الكلمة، وجمع الصف، ويكشفون الفتن والغوايات، ويحذرون من الشبهات والاختلافات، كما أن العلماء بصيرون بعواقب الأمور، ينظرون إلى مستقبل الأمة ورفعتها، ووحدة الكلمة وقوتها.

قال الله سبحانه وتعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(آل عمران: 103).

قال العلامة السعديُّ -رحمه الله-: „ إن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم، وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عَدُّها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختلُّ نظامهم، وتتقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام „[3].

1. أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: 1/ 152، رقم 159.
2. مفتاح دار السعادة: 1/ 271 - 272.
3. تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ص 142.

وقال الله عز وجل: { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } (النساء: 83).

فالعلماء هم الذين يكشفون المؤامرات، ويدحضون الدسائس والمكائد، ويحذرون الناس من الفتن والحيل، ويفندون الإشاعات، ويقضون على الخلافات.

قال الحسنُ البصريُّ: „ الفتنة إذا أقبلت عرَفها كُلُّ عالمٍ، وإذا أدبرت عرَفها كُلُّ جاهلٍ „[1].

وقال أحدهم يصفُ نفاذَ بصيرته ورجاحةَ عقله[2]:

بَصيرٌ بأعقَابِ الأمورِ كَأنَّمَا ... يَرَى بِصوابِ الرَّأيِ مَا هوَ وَاقِعُ

لذلك تجد العلماء يحذرون من الفتن قبل وقوعها، ويعرفون متى يتكلمون، ومتى يحجمون عن الكلام؛ لأنهم يرون بفراستهم، وينفذون ببصيرتهم، ولا ينساقون وراء كل ناعق، ولا يتبعون كل زاعق.

وانظر إلى وصية علي، رضي الله عنه: „ النَّاسُ ثَلاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، ومُتَعَلِّمٌ على سبيلِ نجاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أتبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لم يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ العِلمِ، ولم يلجأوا إلى رُكْنٍ وَثِيقٍ „[3].

بقاء العلماء نعمة وزوالهم نقمة:

إن العلماء هم النور الذي يضيء في حوالك الظلمات، والقناديل التي تمدُّ الناس في دروب الحياة، وجودهم نعمة للخلائق جميعها، وفناؤهم نقمة للكائنات كلها، وذهابهم وفقدهم ذهاب للعلم والنور، وكثرة للجهل والفجور.

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا)[4].

1. التاريخ الكبير، للبخاري: 4 /321.
2. عيون الأخبار، لابن قتيبة: 1 /15.
3. الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي: 1/ 50.
4. صحيح البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن عبد الله بن عمرٍو، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)[1].

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: „ لا يزال عالم يموت، وأثر للحق يَدْرُس، حتى يكثر أهل الجهل، وقد ذهب أهلُ العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل „[2].

قال الشيخ عبد العزيز بن أحمد الدميري، رحمه الله[3]:

إِذَا مَا مَاتَ ذُو عِلمٍ وَتقوَى ... فَقَدْ ثُلِمَتْ مِنَ الإسلامِ ثُلْمَهْ

وَموتُ العَادِلِ الملكِ المُرَجَّى ... حَكِيمُ الحقِّ مَنْقَصَةٌ وَوَصْمَهْ

وَمَوتُ الصَّالحِ المَرضِيِّ نَقْصٌ ... ففي مَرْآهُ للإسلامِ نِسْمَهْ

وَمَوتُ الفَارِسِ الضِّرْغَامِ ضَعفٌ ... فَكَمْ شَهِدَتْ له في النَّصْرِ عَزْمَهْ

وَمَوتُ فَتًى كَثِيرِ الجُودِ مَحْلٌ ... فَإِنَّ بَقَاءَهُ خِصْبٌ وَنِعْمَهْ

فَحَسْبُكَ خَمْسَةٌ تَبْكِي عَليهِم ... وَمَوتُ الغيرِ تَخفيفٌ وَرَحْمَهْ

أسأل الله أن يبصرنا في ديننا، وأن يرينا الحق ويرزقنا اتباعه، والحمد لله رب العالمين

1. صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم.
2. جامع بيان العلم، لابن عبد البر: 1/ 603.
3. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي: 8/ 199.

رفعنا الله بالتَّواضع

إعداد: أ. كمال بواطنة
مدير دائرة الكتب التربوية سابقاً

مِنْ أمراض القلوب - وهي أشدّ خطراً مِن أمراض الجوارح - مرض الكِبْر، وهو مرض خطير يتلبّس به أهل الكفر، وقد عرّفه النَّبيّ، صلى الله عليه وسلم، بأنّه (بَطَرُ الحقِّ، وغَمْطُ النّاس)(*)، وبَطَرُ الحقّ دَفْعُهُ وردّه إلى قائله، وغَمْطُ النّاس احتقارُهم، فالتَّكبّر يجعل صاحبه يعرض عن الحقّ، ويضيّعه، ولا ينقاد له، ويجعله يحتقر النّاس، ويعيبهم، ويرى نفسه في منزلة أعلى منهم، فلا يحترمهم، ولا يتواضع لهم، ويستبدّ بهم إن كان له سلطان، ومن هنا تجد المستكبرين دوماً مستبدّين.

الاستكبار من أسباب الكفر:

في القرآن الكريم ما يدلّ على أنّ الاستكبار كان سبباً في كفر الكافرين، وعدم انقيادهم لشرع ربّ العالمين، قال تعالى في وصف الكافرين: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}(لقمان:7)، وقال في وصف قوم نوح، عليه السّلام: {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا}(نوح:7)، وإبليس اللّعين استكبر عن السّجود لآدم، وخالف أمر ربّه {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}(البقرة:34)، وكفّار مكّة منعهم

* صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

الكِبْرُ والاستعلاء على فقراء المسلمين من أنْ يدخلوا في الإسلام، وطلبوا أنْ يكون لهم مجلس خاصّ مع النَّبيّ، صلى الله عليه وسلم، لا يلتقون فيه بفقراء المسلمين.

وعيد الله للمستكبرين:

الله عزّ وجلّ، توعّد المستكبرين عن عبادته بنار جهنّم، فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}(غافر:60)، بل إنّ الله- سبحانه- أيأسهم مِنْ دخول الجنّة بسبب تكذيبهم بآيات الله، وتكبّرهم، فقال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ}(الأعراف: 40)

وفي هدي نبيّنا، صلى الله عليه وسلم، قوله: (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ)[1]، والعُتل: الشَّديد الغليظ، والجوّاظ: سيء الخلق.

والمتكبّر في حقيقته يحسّ نقصاً في نفسه، فينزع للتَّغطية على نقصه إلى منازعة الله تعالى، صفة من صفاته، فالله من أسمائه (المُتكبّر)، ولله أن يتكبّر؛ فهو لا يحتاج إلى غيره، وغيره محتاج إليه، وفي الحديث القدسيّ: (الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ)[2]، فعلى كلّ متكبّر أنْ يدرك أنّه ينازع الله صفة من صفاته، وأنّه يرتفع بقدر ما يخضع ويتواضع لله، ولعباده المؤمنين، وفي الحديث(... وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ)[3]، وأنّه لن يدخل الجنّة ولو كان عنده شيء يسير مِن الكِبْرِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)[4].

1. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكبر.
2. سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، وصححه الألباني.
3. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع.
4. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

فيا ربّنا، رُحماك! كيف ستكون حال من امتلأ قلبه كبراً؟! إنّ بعض مَنْ ينتسبون إلى الإسلام لا يتورّع عن الكِبْرِ، ولا يظهر منه تواضع، حتّى وهو في بيوت الله، وواقف بين يديه في صلاة!

وفي هدي رسولنا، صلى الله عليه وسلم، ما فيه رادع لكلّ من يتكبّر، فيقول: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ...)[1]، وهناك عقوبة أشدّ، وهي إعراض الله عنهم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ)[2]

وإذا كان الإسلام يذمّ التّكبّر، فهو يمدح التّواضع وأهله، ويحبّهم مصداقاً لقوله تعالى: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}(المائدة:54).

فهنيئاً للمتواضعين على حبهم لله، وحبّ الله لهم، وحبّ المؤمنين لهم!

مِنَ الملموس في حياتنا أنّ النّاس يحبّون المُتواضع، ويبغضون المتكبّر المُتعجرف، الّذي يستعلي عليهم، والمتكبّر كما يرى النّاس صغاراً يراه النّاس صغيراً، ولا يحبّون أنْ يلتقوا به في أيّ مكان، وقد صوّره الحسن البصريّ بمن يقف على جبل عالٍ، ينظر إلى الناس في أسفل الجبل، فيراهم صغاراً، ويرونه في الوقت نفسه صغيراً، وهو مثل السّنابل الفارغة، تشمخ رؤوسها، وأمّا الملآى فتنحني متواضعة، والشاعر يقول:

ملأى السنابل تنحني بتواضع والفارغات رؤوسهن شوامخ

علاج الكبر:

على من كان عنده كبر أنْ يبادر إلى التّوبة، وأن ينظر إلى عظمة ربّه، وأن يستصغر نفسه، وينظر في مصارع المُستكبرين مثل فرعون وقارون وغيرهما، وحريّ بمن خلق من نطفة، ويحمل

1. سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.
2. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

في بطنه العذرة، وسيصبح بعد خروج الرّوح جيفة، أن يفكّر في هذا الأمر، فلعلّه يطهّر نفسه مِنْ داء الكبر. وعليه أن ينتهي عمّا نهى الله عنه في قوله تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: {وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}(لقمان: 18)، والصّعر مرض يصيب الإبل في رقابها، فيجعلها لا تستطيع أن تلتفت، والمتكبّر لا يلتفت إلى النّاس استعلاءً، ومن الآية يستنتج أنّ الكِبْر مرض، ينبغي أن يتداوى مَنْ أصيب به.

كذلك ينبغي أن يعرف المتكبّر أنّه صغير العقل، ومن جميل ما ينسب إلى محمّد بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، قوله: "ما دخل قلب امرئ شيء مِنَ الكبر قطّ إلا نقص مِنْ عقله بقدر ما دخل من ذلك، قلّ، أو كثر"[1]، ولو نظر المتكبّر إلى نفسه لأحسّ ضعفه، ووجد نفسه لا يختلف عن بقيّة البشر، وأنّه يجري عليه ما يجري على النّاس، فهو يجوع، ويتألم، ويموت...، وكذلك فهو لا يستغني عن النّاس الَّذين يتكبّر عليهم، وانظر إلى فرعون، الذي قال لقومه: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى} (النّازعات:24) كيف ظهر عجزه عندما أدركه الغرق، ولم يستطع أن يفعل شيئاً، ولم ينفعه تكبّره، وانظر إلى قارون وعجزه لمّا خسف الله به الأرض.

كذلك ينبغي أن يخاف المتكبّر أن ينزل عليه العذاب في الدّنيا قبل الآخرة. يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ[2]، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ[3] إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ).[4]

ما أحرانا أنّ نتواضع من غير مذلّة؛ فالتّواضع أبو الفضائل، وسبيل الرّفعة، وجميل قول غاندي، الزّعيم الهنديّ، لمّا سئل وهو يركب القطار: لماذا تركب في الدرجة الثالثة؟ فأجاب: لأنّي لا أجد درجة رابعة، وفي ديننا، وفي سلوك عظمائنا ما يكفي؛ ليجعلنا نتحلّى بفضيلة التّواضع، وننبذ رذيلة التّكبّر.

1. المحاسن والمساوئ:271.
2. مرجل جمته: مسرح رأسه، والجمة هي الشعر الذي يتدلى إلى الكتفين، أو هو مجمع شعر الرأس.
3. يتجلجل: يتحرك وينزل مضطربا، وفي رواية (يتجلل).
4 صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء.

فضل البدء باسم الله

أ. سيف الدين علي

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله، صلى الله عليه وسلم، وبعد:

بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله ربِّ العالمين، بسم اللهِ أحكمِ الحاكمين، بسم الله خالقِ السماواتِ والأرَضين، بسم الله في كُلِّ شيء، بسم الله عَلى كُلِّ شيء، بِسم الله رَبِّ كُلِّ شيء، أبدأُ على بركةِ الله، بسم الله:

• فعندَ تلاوةِ القُرآنِ الكَريم، قل أعوذُ بالله مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ - بسم الله الرحمن الرحيم.

• وعندَ دُخولِ البيتِ، قُل: بِسْمِ اللَّهِ. قال النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ)[1].

• وعندَ إغلاقِ الأبْوابِ، قل بِسم الله. قال النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا)[2].

---

1. صحيح مسلم، كتاب الأشربة، بَابُ آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا- قال الشيطان: معناه قال الشيطان لإخوانه وأعوانه ورفقته، المبيت: المكان يُقام فيه ليلاً)
2. صحيح البخاري، كتاب الأشربة، بَابُ تَغْطِيَةِ الإِنَاءِ.

• وإذا وَضعتَ (خلعتَ) ثَوبكَ، فَقُل بِسْمِ اللَّهِ. قالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سَتْرُ مَا بَيْنَ عَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ وَالْجِنِّ، إِذَا وَضَعَ أَحَدُهُمْ ثَوْبَهُ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ).[1]

• وإذا دخلتَ الخلاء (أي إذا أردتَ الدخولَ) فقُل بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ. قال رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ، إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الخَلَاءَ، أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ)[2].

وكَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ الخَلَاءَ، قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ).[3]

• وإذَا خرجتَ مِنَ الخلاء فقل غُفْرَانَكَ، فَقد كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ، قَالَ: (غُفْرَانَكَ).[4]

• وإذَا أتيت زوجك، فقُل: بِاسْمِ اللهِ، اللهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا. فإنَّ في التَّسميةِ والدعاءِ نفعاً عظيماً بأمرِ الله، وحفظاً للطفلِ منْ كَيدِ إبليسَ وجُنْدِه. قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، اللهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا).[5]

• وقبلَ الشُّربِ قل: باسم الله، وقبلَ الأكلِ قل باسم الله، وإذا نسيتَ، فقُل باسم الله فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ. قَالَ النبيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ)[6].

1. المعجم الأوسط للطبراني: 7 /128، وصححه الألباني في صحيح الجامع.
2. سنن الترمذي، كتاب السفر، باب ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء، وصححه الألباني.
3. صحيح البخاري، كتاب الوضوء، بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ الخَلَاءِ، الخُبُث بضم الباء: ذُكران الجن، والخبائث: إناثهم ، فيستعيذ بالله من ذكران الجن وإناثهم. ويشمل كل شيء مكروه ومذموم.
4. سنن الترمذي، كتاب الطهارة، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
5. صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أتى أهله.
6. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب.

وإذَا انتهَيتَ فاحْمَدِ اللهَ تَعالى. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا).[1]

• وعندَ تَغطيةِ الإناءِ قل: باسم الله. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا)[2].

• وقبلَ الوُضوءِ قل: باسم الله، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ).[3]

• وإذا خَرجتَ مِن البَيْتِ، فَقُل: باسم اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ قَالَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ).[4]

• وإذَا ركِبْتَ الحافلةَ، فقُل: بِسْمِ اللَّهِ، فَإذا اسْتَوَيتَ عَلَيها قُل: (الحَمْدُ لِلَّهِ)، ثُمَّ قُل: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)، ثُمَّ قُل (الحَمْدُ لِلَّهِ) ثَلَاثًا، (اللَّهُ أَكْبَرُ) ثَلَاثًا، ثُمَّ قل: (سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)[5].

• وَإِن قدَّر اللهُ، وعثرَ المركوبُ، فقل: باسم اللَّهِ. عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَثَرَتْ دَابَّةٌ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: (لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ).[6]

---

1. سنن الترمذي، كتاب الأطعمة، بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
2. صحيح البخاري، كتاب الأشربة ، باب تغطية الإناء.
3. سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في التسمية على الوضوء، وصححه الألباني.
4. سنن الترمذي، كتاب الدعوات، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، وصححه الألباني.
5. سنن أبي داود، كتاب الجهاد، بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا رَكِبَ، وصححه الألباني.
6. سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي، وصححه الألباني.

• وعندَ قتالِ الأعداءِ قل: باسم الله، وقد كَانَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: (اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا). [1]

ومن أعجبِ القَصَصِ ما حصلَ مع الصحابيِّ الجليلِ أبي طلحةَ، رضيَ اللهُ عنه وأرضاه، حين قاتلَ في أُحدٍ قتالَ الأبطالِ دفاعاً عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقد أُصيبت أصابعُ أبي طلحة، قال لهُ رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لَوْ قُلْتَ بِسْمِ اللَّهِ لَرَفَعَتْكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ). [2]

• إذا ما أُدخِلَ الميتُ القبرَ، قالُوا: باسم اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عنهُما، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أُدْخِلَ الْمَيِّتُ الْقَبْرَ، قَالَ: (بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ). [3]

باسم الله، بها تكونُ البِدايات، وبها تكونُ النهايات، وبها تُستجلبُ الخيرات، وبها تعُمُّ البركات، وبها تُحقَّقُ الانتصارات، فلتكُن في كُلِّ أمرِكَ وشأنِك، وأوصِ بها أهْلَك وأولادَك، وأَدِمْ ذكرَ الله سرًّا وجهرًا تجد خيراً في كلِّ أحوالك، فما داومَ عليه اللسانُ وقرَ في القلب، وما وقرَ في القلبِ ظهرَ على الجوارحِ، ونفعَ بأمرِ الله في الفزعِ، وفَجْأةِ الموتِ والخوفِ والشَّدائدِ العِظام، فما كان لسانُكَ عاملاً به في الحياةِ الدنيا، نفعكَ بأمر الله حالَ الفِراق وحُلولِ الأجل.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

1. صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير، بَابُ تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ، وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا.
2. سنن النسائي، كتاب الجهاد، مَا يَقُولُ مَنْ يَطْعَنُهُ الْعَدُوّ، وحسنه الألباني.
3. سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في إدخال الميت القبر، وصححه الألباني.

أنت تسأل والمفتي يجيب

فتاوى

الشيخ محمد أحمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. حكم الحج عن المتوفى

السؤال: توفي أخي، رحمه الله تعالى في عام 2018م عن عمر أربعين سنة، وله مبلغ من المال يقدر بـ10 آلاف شيقل، ونريد أن ندفع المال لشخص مقيم في السعودية لكي يحج عنه، فما حكم الشرع في ذلك؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فالإسلام فسح المجال لأداء فريضة الحج عن الآخرين إذا ماتوا دون أن يؤدوها، أو كانوا في حالة صحية يعجزون فيها عجزاً تاماً عن أداء هذه الفريضة، لما روي عن امرأة من خثعم، جاءت إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ، أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ، قَالَ: نَعَمْ، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ» [1] ويشترط فيمن يريد أن يحج عن غيره، ما يأتي:

- أن يكون الشخص المراد الحج عنه ميتاً، أو عاجزًا عن أداء الحج[2]

- أن يكون الذي يريد الحج عن غيره قد حج عن نفسه أولاً، فعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما:

1. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله.

2. المجموع: 7/ 120، المغني: 5/ 66 - 67

(أَنَّ النبِي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: مَنْ شُبْرُمَةُ؟ قَالَ: أَخٌ لِي - أَوْ قَرِيبٌ لِي - قَالَ: حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ»[1]

وعليه؛ فيجوز الحج عن أخيك المتوفى من تركته، إن وافق الورثة على ذلك، وإذا كان من يريد الحج عنه قد حج عن نفسه من قبل.

2. حكم سفر المرأة إلى الحج دون محرم

السؤال: هل يجوز أن أحج مع أمي دون محرم، لعدم القدرة المالية على دفع تكاليف الحج، علماً أن عمري 40 عاماً، وأمي 65 عاماً؟

الجواب: الأصل ألّا تسافر المرأة إلّا مع ذي محرم؛ لقول رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»[2]، ولكن اختلف الفقهاء في سفر المرأة للحج الواجب والعمرة الواجبة، فذهب أبو حنيفة وأحمد في المشهور عنه، ومن وافقهم إلى القول بتحريم سفر المرأة للحج بلا محرم؛ لعموم الأدلة المانعة للمرأة من السفر دونه، وذهب مالك والشافعي وأحمد في رواية أخرى إلى القول بالجواز، إذا أمنت الفتنة، ووجدت الرفقة الصالحة من النّساء المأمونات[3]؛ واستدلّوا لمذهبهم بما روي عن عدي بن حاتم، رضي الله عنه، أنّ النّبي، صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ، قال له: «يَا عَدِيُّ؛ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟ قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ- أي المسافرة- تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ»[4]، وقال ابن تيمية: «وتحجّ كلّ امرأة آمنة مع عدم محرم» قال أبو العباس: «وهذا متوجه في سفر كل طاعة»[5]

وقد ذهب مجلس الإفتاء الأعلى في قراره رقم: 2/ 68 بتاريخ 6/ 5/ 2008م إلى جواز سفر المرأة دون محرم، لأداء فريضة الحج مع صحبة موثوقة من النّساء، إلّا أنّ سفرها بصحبة المحرم أولى، لأنّ ذلك يمنع الفتنة، ويدفع عنها الأذى، والله أعلم.

1. سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب الرجل يحج عن غيره، وصححه الألباني.
2. صحيح مسلم، كتاب الحجّ، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره.
3. نيل المآرب بشرح دليل الطالب: 290/1.
4. صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.
5. الفتاوى الكبرى: 381/5.

3. حكم الخروج إلى الحج من مال الغير مع الظن أنه من مال قاصد الحج

السؤال: أعطاني أخي مالاً، واتجرت به، والآن هو يريد الحج، وطلب مني المال، ولا أستطيع إرجاعه، فعرض عليّ صديق أخي الذي يعلم بالموضوع أن يعطيني مالاً منه؛ لأعطيه إلى أخي حتى يخرجا إلى الحج معاً؛ لأن أخي لو يعلم بالموضوع لا يقبل المال، فما حكم ذلك؟

الجواب: المال المودع لدى السائل أمانة عنده ولو كان لأخيه، والله تعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (النساء: 58)، وأهلها في هذا السياق هم الذين أودعوا المال لديه، ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: (أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ) [1]، والمسلم ملزم بالاتفاق الذي حصل بينه وبين الجهة التي أودعت لديه المال، فلا يتصرف بما يخالفه إلا بإذنها.

أما بخصوص إعطاء مال لأخيك من صديقه دون علم أخيك، فيشترط في صحة الهبة الإيجاب والقبول، فلا بد للموهوب له من قبول الهبة حتى تصح، فقد جاء في كتاب الفقه الإسلامي وأدلته: « تصبح الهبة صحيحة ناقلة للملكية بمجرد قبول الموهوب له » [2]

لذلك في الحالة الموصوفة في السؤال أعلاه حتى تصح، يجب أن يكون المال من صديق أخيك لك على سبيل الهبة والصدقة أو القرض الشرعي، وليس هبة لأخيك، ثم بعد ذلك ترد مال أخيك إليه ليتمكن من الذهاب إلى الحج.

4. حكم ضريبة السحب المبكر على أخذ قرض من حساب التوفير المغلق لأداء الحج

السؤال: ما حكم أخذ قرض من بنك، وذلك بدفع ضريبة سحب مبكر من حساب التوفير قبل انتهاء مدته في العام المقبل، لأداء الحج؟

الجواب: ينبغي بداية التنبيه إلى خطر التعامل بالربا، لقوله تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي

1. سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب منه، وصححه الألباني.
2. الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي: 4/ 3260.

الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} [البقرة: 276]، وقد جاء في قرار مجلس الإفتاء الأعلى رقم 1/ 114 بتاريخ 20 /2/ 2014م: [فأصل هذا التعامل محرم باتفاق علماء السلف والخلف، وهيئات الإفتاء، والمجامع الفقهية، إلا لضرورة، كالخوف على ذهاب المال، وعدم وجود بديل شرعي].

وجاء في المغني عن ابن قدامة، أنه قال: [كل قرض شرط فيه أن يزيده فهو حرام بغير خلاف. وقول ابن المنذر: أجمعوا على أن المسلف إذا شرط على المستلف زيادة أو هدية، فأسلف على ذلك، فإن أخذ الزيادة على ذلك ربا] [1] ، كما يعد ذلك من باب التعاون على الإثم، والله تعالى يقول: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (المائدة :2)، فأي قرض بزيادة ربوية، سواءً أكان من مؤسسة أم من شخص فهو ربا، ولا يجوز أخذه.

وبالنسبة إلى الخروج للحج بقرض ربوي، فمن شروط وجوب الحج الاستطاعة المالية، ومن ذلك توفر مال فاضل عن الديون، يكفي لنفقة الطريق والراحلة، قال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} (آل عمران: 97)، ولا يجب على المرء أن يقترض لأداء الحج، وقد سئل ابن أبي أوفى، رضي الله عنه، عن الرجل يستقرض ويحج، فقال: (يَسْتَرْزِقُ اللَّهَ، وَلاَ يَحُجُّ) [2]

والحج من العبادات التي تلزمها نفقة مالية طيبة نقية من الحرام، حتى يكون مبروراً، لما جاء في الحديث الشريف «أن النَّبِي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سُئِلَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ، قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ[3]»، والحج المبرور هو المقبول الذي لا تخالطه معصية، بأن يأتي الحاج فيه بالواجبات والمستحبات، ويترك المحرمات والمكروهات، ويحج كما شرع الله، متأسياً برسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأن يكون ماله حلالاً خالصاً، لا شبهة فيه، قال عليه الصلاة والسلام: (مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ، حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ) [4]

1. المغني لابن قدامة، 360/4.
2. مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الحج، في الرجل يستقرض ويحج، وإذا اقترض وحجَّ، فحجه صحيح إن شاء الله 449/3.
3. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور.
4. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها.

5. حكم من نوى الحج، ولم يستطع السفر، لأدائه بسبب جائحة كورونا

السؤال: ما حكم من نوى الحج ولم يستطع الذهاب لأدائه بسبب جائحة كورونا؟

الجواب: بداية نسأل الله العلي القدير أن يكشف عن عباده هذه الغمة، ومع انتشار هذه الجائحة في معظم دول العالم، تم الاضطرار لاتخاذ إجراءات طارئة استثنائية في مجالات حياتية عديدة، ومن أهم هذه الإجراءات وأبرزها حصر أداء مناسك الحج لهذا العام بعدد محدود من المقيمين في المملكة العربية السعودية، واللجوء لذلك مبرر شرعاً وواقعاً، درءاً لمفسدة الوباء، وحفظاً لصحة الناس، ودفع الضرر عنهم.

ومن ناحية شرعية؛ فإن الشخص الذي نوى الحج، وبسبب الظروف الحالية لم يستطع ذلك، فله الأجر والثواب إن شاء الله تعالى؛ لأن المسلم يُؤجر ويُثاب على العبادة التي ينوي القيام بها، وإن منعه مانع من ذلك، فله المثوبة على نيته وعزمه، والله تعالى يقول: {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (النساء: 100)، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالَ: (إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ) [*]

والله تعالى أعلم.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

* صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب منه.

الصفـات المطلوبـة في الخاطـب والمخطوبـة

الشيخ.د. يسري عيدة

مساعد مفتي/دائرة إفتاء محافظة الخليل

أهـمّ مـا ينبغـي أنْ يتوافـرَ في الخاطـب مـن صفـات وخصـال: أن يكـون صاحـبَ خُلُـقٍ ودِيـن؛ لقـول النـبيِّ: (إِذَا خَطَـبَ إِلَيْكُـم، مَـنْ تَرْضَـوْنَ دِيْنَـه وَخُلُقَـهُ فَزَوِّجُـوهُ، إِلّا تَفْعَلُـوا تَكُـنْ فِتْنَـةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَـادٌ عَرِيْـضٌ) .[1]

فقـد أوصى النـبيُّ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، أولياءَ الأمـور أن يُركّـزوا عـلى أمريـن مهمـين، يُنظـر إليهمـا في الخاطـب، ألا وهمـا: الدِّيـنُ والخُلـق، فـإن أُضيـفَ إلى الخُلـق، والديـن، الحسـب، والنسـب، والمـال، والجمـال، والجـاه، والـثراء، ونحـو ذلـك، فنُـورٌ عـلى نـورٍ، وإن تعارضـت هـذه الأمـور مـع الخلـق والدّيـن، قُـدِّم الديـن والخُلـق.

وقـد أدّى نظـرُ كثـيرٍ مـن المسـلمين إلى جـاه الخاطـب، ومنصِبـه، ومالِـه، ونحوهـا مـن اعتبـارات دنيويـة، وتقديـم هـذه الأمـور وغيرهـا عـلى الخُلـق والدّيـن، إلى كثـيرٍ مـن المشـكلات الزوجيـة، وكثـير مـن حـالات الطـلاق، قبـل الدخـول وبعـده.

وفي المقابـل، ينبغـي أن تتوافـر في المخطوبـة شروط، منهـا: أن تكـونَ صاحبـةَ خُلـق ودِيـن؛ لقـول النـبيِّ، صـلى اللـه عليـه وسـلم :(تُنْكَـحُ الْمَـرْأَةُ لِأَرْبَـعٍ: لِمَالِهَـا، وَلِحَسَـبِهَا، وَجَمَالِهَـا، وَلِدِينِهَـا، فَاظْفَـرْ بِـذَاتِ الدِّيـنِ، تَرِبَـتْ يَـدَاكَ) [2] فصاحبـةُ الخُلـق والدّيـن، تَعـرِفُ حقـوقَ زوجهـا، وبيتهـا، وأبنائهـا، فتتقـي اللـه سـبحانه وتعـالى فيهـم، فهـي بذلـك أكـثر صلاحًـا، وأطـول صحبـة مـن غيرهـا[3]،

1. سنن الترمذي، أَبْوَابُ النِّكَاحِ، بَابُ مَا جَاءَ إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، وصححه الألباني، 386/3.
2. صحيح البخاري، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الأَكْفَاءِ فِي الدِّينِ.
3. ابن حجر، فتح الباري: 50/9.

وقد قال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم : (الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ).[1]

فإن اجتمعَ مع الخُلق والدين: الجمالُ والمال والنسب والحسَب، ونحو ذلك من المرغّبات[2]، فهذا نورٌ على نور، وأمرٌ طيّب، وهو مما تصبو إليه نفسُ كلِّ خاطب؛ لقول النبيِّ، صلى الله عليه وسلم لمّا سُئِلَ: (أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ : الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ).[3]

وذكر بعضُ العلماء أنَّ سببَ استحباب اختيار المرأة الحسيبة النسيبة، هو الرغبة في نجابة الولد؛ فإنَّه يُحتمل أنْ يُشبِهَ أخوالَه في تلك الصفات الحميدة، ونحوها.[4]

ولكن، فيما لو تعارض الجمال ونحوه من الصفات، مع الدّين، قُدِّم الدِّين؛ لقول النبيِّ، صلى الله عليه وسلم : (فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ).[5]

ما يباح لخاطب المعتدة من وفاة أو طلاق:

اتفق الفقهاءُ على أنَّ التصريح[6] بخِطبة المعتدة حرامٌ، سواء كانت معتدة من وفاة، أو طلاق رجعي أو بائن[7]، لمفهوم قول الله سبحانه وتعالى: { وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ}(البقرة: 235)؛ ولأنَّه يُخشى إنْ صَرّحَ الخاطبُ لها بالخِطبة، وأكّد على رغبته في الزواج منها، أن تكذبَ بأنَّ عِدّتها قد انتهت، من أجل أنْ تتزوجه.[8]

---

1. صحيح مسلم ،كِتَابُ الرضاع، بَابُ خَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، 1090/2. حديث رقم 1467.
2. الخطيب الشربيني، مغني المحتاج: 207/4. ابن قدامة، المغني: 82/7.
3. سنن النسائي، كِتَاب النِّكَاحِ، باب أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ، وقال الألباني: حسن صحيح.
4. زكريا الأنصاري، أسنى المطالب 108/3.
5. صحيح البخاري، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الأَكْفَاءِ فِي الدِّينِ.
6. وهو ما يقطع بالرغبة في النكاح، ولا يحتمل غيره، كقول الخاطب للمعتدة: أريد أن أتزوجك، أو: إذا انقضت عدتك تزوجتك. وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية: 191/19. الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته: 9/9.
7. الحصكفي، الدر المختار 619/2. الأزهري، جواهر الإكليل: 276/1. النووي، روضة الطالبين: 30/7. البهوتي، كشّاف القناع: 18/5.
8. الرملي، نهاية المحتاج: 199/6. البهوتي، كشّاف القناع: 18/5.

أمَّا التعريضُ[1] لخِطبة المعتدة من وفاة، فجائزٌ عند جمهور الفقهاء[2]؛ ومنع منه الشافعية في قولٍ ضعيفٍ عندهم[3]، وذلك في حال أنْ تكون المعتدة من وفاة حاملًا. والصحيح في المسألة قول جمهور الفقهاء؛ لقول الله سبحانه وتعالى: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ} (البقرة: 235)، فقد وردَت كما قال جمهورُ المفسّرين، في عدّة الوفاة على العموم.[4]

واتفق الفقهاء كذلك على حُرمة التعريض بالخِطبة لمنكوحة الغير، والمعتدة من طلاق رجعي؛ لأنَّها في حكم المنكوحة؛ لبقاء الزوجية بينهما.[5]

واتفقوا كذلك على حُرمة التعريض لمخطوبة من صُرِّح بإجابته، وعُلمت خِطبته، ولم يأذن الخاطب، ولم يُعرِض عنها. وذلك لقول النبي، صلى الله عليه وسلم : (وَلا يَخْطِبَ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، حَتَّى يَتْرُكَ الْخَاطِبُ قَبْلَهُ، أَوْ يَأْذَنَ لَهُ الْخَاطِبُ)[6]

أما التعريض بالخطبة للمعتدة من طلاق بائن أو فسخ، فقد اختلف فيه الفقهاء على ثلاثة أقوال:

القول الأول: لا يحِلّ التعريضُ بالخِطبة لمعتدة من طلاق مُطلقًا. وهو مذهب الحنفية[7]

القول الثاني: يجوز التعريض بالخِطبة لبائن معتدّة بالأقراء أو الأشهر، ولا فرق في ذلك بين أنْ تكون بائنًا ببينونة صغرى، أو كبرى، أو بفسخ، أو فُرقةٍ بِلِعان، أو رضاع. وهو مذهب المالكية[8] والشافعية في الأظهر عندهم[9]، وقولٌ للحنابلة.[10]

---

1. هو ما يفهم به السامع مراد المتكلم، من غير تصريح. يُنظر: الجرجاني، التعريفات: 85/1. وهذا، كأن يقول الخاطب للمعتدة: رُبّ راغب فيكِ، أنت جميلة، وليتني أجِدُ مِثلَكِ. يُنظر: الحطّاب، مواهب الجليل: 417/3. الرملي، نهاية المحتاج: 199/6. وقد فسّر ابن عباس، رضي الله عنهما، التعريض المذكور في الآية، بقوله: يقول - أي من يريد خِطبتها -: إنِّي أُريد التزوّج، ولَوددْتُ أن يُيَسّر امرأة صالحة. يُنظر: ابن حجر، فتح الباري: 178/9. الشوكاني، نيل الأوطار: 123/6.

2. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين: 619/2. الحطّاب، مواهب الجليل: 417/3. الرملي، نهاية المحتاج: 199/6. الرّحيباني، مطالب أولي النهى: 23/5.

3. النووي، روضة الطالبين: 30/7-31.

4. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 188/3. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 639/1. ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 450-451.

5. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين: 619/2. الدسوقي، حاشية الدسوقي: 219/2. النووي، روضة الطالبين: 30/7-31. ابن قدامة، المغني :658/1.

6. صحيح البخاري، كتاب النكاح ، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع.

7. الزيلعي، تبيين الحقائق: 36/3. الكاساني، بدائع الصنائع: 449/4. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين: 219/2.

8. الدسوقي، حاشية الدسوقي: 219/2 الزرقاني، حاشية الزرقاني: 167/3. الخرشي، حاشية الخرشي: 129/4.

9. الشيرازي، المهذب: 47/2. النووي، روضة الطالبين: 30/7. الرملي، نهاية المحتاج: 203/6.

10. ابن قدامة، المغني: 608/6. الرحيباني، مطالب أولى النهى: 23/5.

القول الثالث: لا يَحِلُّ التعريضُ بالخِطبة للبائن بطلاق رجعي، إلا للمُطلِّق وحْدَه. وهو قولٌ في مقابل الأظهر عند الشافعية [1]، وقول لأحمد [2]

وأميلُ إلى ما ذهب إليه أصحابُ القول الثاني، القائلون بجواز التعريض بالخِطبة لبائن معتدة بالأقراء أو الأشهر؛ لعموم قول الله تبارك وتعالى: { وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ}(البقرة: 235)، فالآية الكريمة عامّة، ولم يأتِ ما يُخصّصها، فتبقى على عمومها[3]، ولحديث فاطمة بنت قيس، رضي الله عنها، أنّ النبيَّ، صلى الله عليه وسلم، قال لها لمّا طلّقها زوجها ثلاثًا: (إذا حَلَلْتِ فآذنيني.) [4].

فالألفاظ التي ذكرها النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، لفاطمة بنت قيس، رضي الله عنها، تعريضٌ واضحٌ منه لخِطبة المعتدة من طلاق بائن بينونة كبرى أثناء عدّتها؛ وذلك لانقطاع سلطان زوجها الأول عليها بعد أن طلّقها ثلاثاً.[5]

الفترة المناسبة للخطوبة:

قد تتم الخطوبة والعقد - حتى الدخول - في آن واحد، وقد تكون لأيام، أو لأسابيع، أو لأشهرٍ، أو لأعوامٍ، إلا أنه ينصح بعدم التسرع في كتابة العقد، وإعطاء الخاطبين فرصة للتعرف على بعضهما في حدود شهر مثلاً، ومن ثم يُجرى العقد؛ لأنَّ كثيرًا من الحالات كانت فيها فترة الخطوبة يسيرة جدًا كأسبوع مثلًا - وهو غير كافٍ طبعًا للوقوف على حقيقة كل من الخاطبين -، ومن ثم أُجري العقد، وبعدها حصل الخلاف والطلاق، وفي المقابل لا ينصح بتطويل فترة الخطوبة لعامٍ فأكثر، حيث كلما طالت فترة الخطوبة، كثرت الوقائع والأقوال والأحوال، ومن ثم حصول مشكلات قد تؤدي إلى الفراق، والوقاية خير من العلاج، والتوسط والاعتدال هو الأسلم والأحكم.

---

1. النووي، روضة الطالبين: 30/7 - 31. الرملي، نهاية المحتاج: 203/6.
2. ابن قدامة، المغني: 6/ 618 الرحيباني، مطالب أولي النهى: 23/5.
3. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين: 619/2. الدسوقي، حاشية الدسوقي: 219/2. النووي، روضة الطالبين: 30/7-31. ابن قدامة، المغني: 658/1.
4. صحيح مسلم، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا لَا نَفَقَةَ لها
5. الأزهري، جواهر الإكليل: 276/1. الرملي، نهاية المحتاج: 199/6. ابن قدامة، المغني: 608/6.

العدول عن الخِطبة والآثار المترتبة عليه:

المراد بالعدول عن الخِطبة اصطلاحًا: أنْ يتراجعَ الخاطبان أو أحدُهما عن الخطبة بعد تمامها، وحصول الرضا منهما. [1]

والخِطبة - كما هو معلومٌ - وعدٌ بالزواج وليست عقدًا، فلا يترتب عليها ما يترتب على عقد النكاح، ويتوسع كثيرٌ من الناس في تقديم الهدايا للمخطوبة، وتصل قيمتها أحيانًا إلى مبالغ كبيرة، وقد يُقدَّمُ شيءٌ من الهدايا للمخطوبة على حساب المهر، بالإضافة إلى ما ينفقه الخاطب على دعوة الناس للخِطبة من تكاليف.

وفي كثير من الحالات يحصل سوء فهم بين الخاطبين أو بين أهليهما، مما يؤدي إلى العدول عن الخِطبة[2]، وقد يكون العدول من قِبل الخاطب، أو من قِبل المخطوبة، أو من الطرفين معًا، فيُطالبُ الخاطبُ بالهدايا التي قدّمها، وقد تكون المخطوبة قد تصرفت بها كلّها، أو بشيءٍ منها، وقد ينتهي الأمر بين الطرفين بالصّلح والتراضي، وقد يصل الأمر إلى القضاء.

وعلى فرض أنَّ إنهاءَ الأمر تَمَّ بين الطرفين بطريقة أو بأخرى، فما مقدار ما يأخذه الخاطب؟ وما مقدار ما تأخذه المخطوبة جرّاء العدول عن الخِطبة؟

إنْ تمَّ التصالحُ بين الطرفين على شيء معيّن، فلا إشكال حينئذٍ، فقد يُسامح الخاطب بكل ما دفعه أو بجزء منه، وقد يُطالب بكلِّ ما دفعه، وفي المقابل: قد تُرجعُ المخطوبةُ للخاطب كلَّ ما دفعه إليها أو قيمته. ولكن فيما لو لم تُحلّ الأمور بالتراضي والمصالحة، فما مصير الهدايا المقدمة للمخطوبة؟ هل هي مِنْ حَقِّ الخاطب أم مِنْ حَقِّ المخطوبة؟ اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

---

1. الإبراهيم، نظام الأسرة في الإسلام: 230/1.

2. كثير من الكُتّاب يطلقون على العدول عن الخِطبة مصطلح فسخ الخطوبة، والأصح هو العدول عن الخِطبة؛ لأنَّ الفسخَ يكون في العقود، والخِطبة كما هو معلوم وعد بالزواج وليست عقداً. ومن هؤلاء الكُتّاب الذين استخدموا مصطلح فسخ الخطوبة: محمد عقلة الإبراهيم، في كتابه: نظام الأسرة في الإسلام: 230/1.

القـول الأول: الهدايـا المقدمـة مِـنْ أيِّ طَـرَفٍ للآخـر ترجـع لصاحبهـا، ويجـوز للمُهـدي أنْ يرجِـعَ في هديَّتـه مُطلقًـا باسـتثناء سـبع حـالات[1]. وهـو قـول الحنفيـة[2] وقول عند المالكية[3] وبعض الشافعية[4].

القـول الثـاني: يجـوز للمُهـدي الرجـوع في هديتـه إذا لـم يكـن هـو المتسـبب في العـدول عـن الخِطبـة، وإلا فـلا. وهـو قـول المالكيـة في المعتمـد عندهـم[5] وبعـض الشـافعية[6] والحنابلـة.[7]

الأدلة:

اسـتدل القائلـون بـأنَّ الهدايـا المقدمـة مِـن أيِّ طَـرَفٍ للآخـر ترجـعُ لصاحبهـا، وأنَّـه يجـوز للمُهـدي أنْ يَرجـعَ في هديتـه مُطْلَقًـا، باسـتثناء سـبع حـالات عنـد الحنفيـة، بمـا جـاء مـن حديـث عبـد اللـه بـن عمـر، رضي اللـه عنهمـا، أنَّ النـبيَّ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: (مَـن وَهَـبَ هِبَـةً فَهُـوَ أَحَـقُّ بِهَـا مَـا لَـم يثـبْ مِنْهَـا).[8]

وجـه الدلالـة مـن الحديـث: أنَّ النـبيَّ جعـل الواهـبَ صاحـبَ حـقٍّ، وأنَّ لـه الأولويـة في هبتـه، مـا لـم يصِـل إليـه العِـوضُ مـن الموهـوب لـه.[9]

واسـتدل القائلـون بـأنَّ المُهـديَ قـدّمَ هديتـه لمخطوبتـه بـشرط إتمـام الـزواج، والطـرف المهـدى إليـه- وهـي المخطوبـة- فـوّتَ هـذا الغـرض عـلى الواهـب، فـلا يُجمـع بـين فـوات الغـرض وذهـاب هديتـه.[10]

1. وهـذه الحـالات عنـد الحنفيـة، هـي: أ - زيـادة الموهـوب. ب- مـوت الواهـب أو الموهـوب لـه. ج - العـوض عـن الهبـة. د- خـروج الموهـوب عـن ملـك الموهـوب لـه. هـ- الزوجيـة القائمـة بـين الواهـب والموهـوب لـه وقـت الهبـة. و- القرابـة المحرميـة بـين الواهـب والموهـوب لـه. ز- هـلاك العـين الموهوبـة في يـد الموهـوب لـه. يُنظـر: المرغينـاني، الهدايـة: 227/3. ابـن عابديـن: محمـد أمـين، العقـود الدريـة في تنقيـح الفتـاوى الحامديـة: 29/1، المطبعـة الميمنيـة، القاهـرة، دون طبعـة، 1310هـ.
2. ابن نُجيم، البحر الرائق: 196/3. الكاساني، بدائع الصنائع: 128/6.
3. ابن رشد، البيان والتحصيل: 69/5. الحطاب، مواهب الجليل 522/3. الأزهري، جواهر الإكليل: 338/1.
4. الرملي، نهاية المحتاج: 337/6 ابن حجر الهيتمي، الفتاوى الكبرى: 94/4.
5. الدسوقي، حاشية الدسوقي: 219/2. القرافي، الذخيرة 336/4. الحطاب، مواهب الجليل: 522/3. الأزهري، جواهر الإكليل 338/1.
6. الرملي، نهاية المحتاج: 175/3. ابن حجر الهيتمي، الفتاوى الكبرى: 94/4.
7. ابن قدامة، المغني: 231/7. ابن مفلح، الفروع: 302/5. المرداوي، الإنصاف: 203/5.
8. الحاكم: محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: 60/2، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
9. الكاساني، بدائع الصنائع: 128/6.
10. الهيتمي: الفتاوى الكبرى: 94/4.

ويترجح لديَّ القول الثاني، من أنّه يجوز للمُهدي الرجوع في هديته إذا لم يكن هو المتسبب في العدول عن الخِطبة، وإلا فلا؛ لقوّة دليلهم ووجاهته، وضعف دليل القول الآخر، ولأنَّ المسلمينَ على شروطهم، ولم يُقدم الخاطبُ هذه الهدايا لمخطوبته إلا لأنَّه كان جدّيًا في إتمام زواجه منها، فإنْ كان العدولُ عن الخطبة من طرفها، فكيف يُجمع بين فوات ذلك عليه، وبين ذهاب ما أحضره لها؟

أمَّا إنْ كان العدولُ من طرف الخاطب، فيكون قد كسر بخاطر مخطوبته، فتكون الهدايا من حقِّها، فكيف يجمع بين كسر خاطرها مرّتين؟

وأمّا ما قدَّمهُ الخاطبُ لمخطوبته على حساب المهر، فإنَّه مِن حقِّ الخاطب، فيأخذه بعينه إنْ كان موجودًا، وإلَّا أَخَذَ قيمتَه، أو مثلَه إنْ كان قد تَلِفَ أو استُهلك.[1]

العدول عن الخِطبة في قانون الأحوال الشخصية:

بَيَّنَ قانونُ الأحوال الشخصية أنَّ الخِطبةَ، والوعدَ بالزواج، وقبولَ الهدية، وحتى قبض أيّ شيء على حساب المهر لا ينعقد به الزواج، وأن لكل من الخاطب والمخطوبة العدولَ عن الخِطبة.

فقد نصّت المادة (3) من القانون على أنّه: (لا ينعقد الزواج بالخِطبة، ولا بالوعد، ولا بقراءة الفاتحة، ولا بقبض أيِّ شيء على حساب المهر، ولا بقبول الهدية).

ونصت المادة (4) من القانون على أنّ: (لكل من الخاطب والمخطوبة العدول عن الخِطبة).

ولم ينص قانون الأحوال الشخصية على تحديد أكثر ما يأخذه كلٌّ مِن الخاطب والمخطوبة حال العدول عن الخِطبة، وإنَّما بيَّنَ أنَّ الأصلَ أنْ تُرَدَ الهدايا إلى الخاطب مُطلقًا، باستثناء سبع حالات وفق أحكام الهبة في المذهب الحنفي.

---

2. المرغيناني، الهداية: 227/3. المواق، التاج والإكليل: 173/5. الخطيب الشربيني، مغني المحتاج: 390/4. ابن قدامة، المغني 231/7. سابق: سيد،فقه السنّة: 32/2، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط3، 1397هـ - 1977م. الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته: 19/9.

وأمّا ما قدَّمه الخاطبُ على حساب المهر، فإنَّه يُردّ إليه بعينه إن كان موجودًا، وإلا فقيمته، أو مثله.

فقد نصَّت المادة (65) من القانون على أنَّه: (إذا امتنعت المخطوبة، أو نكص الخاطب، أو توفي أحدهما قبل عقد النكاح؛ فإن كان ما دفع على حساب المهر موجودًا استرده عَينًا، وإن كان فُقد بالتصرف فيه أو تَلِفَ، استرد قيمتَه إنْ كان عَرَضًا، ومثله إنْ كان نقدًا، أمَّا الأشياء الأخرى التي أعطاها أحدهما للآخر على سبيل الهدية، فتجري عليها أحكام الهبة).

مسائل فقهية في الصلاة والزينة

أ. شريف مفارجة

باحث شرعي / الإدارة العامة

المسألة الأولى: الصلاة في المركبة:

الصلاة في المركبة تنقسم إلى قسمين: صلاة الفريضة، وصلاة النافلة.

صلاة الفريضة في المركبة اختلف في حكمها العلماء، فذهب الجمهور: إلى أنه لا يجوز أداؤها على دابة، سواء أكانت واقفة أم سائرة إلا لعذر كخوف، فإن صلى على راحلته لعذر لم تلزمه الإعادة[1]، وقال الشافعية: إن كانت واقفة وتوجه إلى القبلة وأتم الفرض جاز، وإن لم تكن معقولة، لاستقراره في نفسه، أما إن كانت سائرة، أو لم يتوجه إلى القبلة، أو لم يتم أركانها فلا يجوز إلا لعذر؛ لأن سير الدابة منسوب إليه، ويعيد الصلاة في حال العذر.[2]

والصحيح أن صلاة الفريضة في المركبة سواء أكانت في السيارة، أم القطار، أم الطائرة، أم السفينة، أم غيرها،تجوز بشرطين، ولو كان المصلي لا يمكنه استقبال القبلة أو الصلاة قائماً، وهما:

1- أن يخاف قبل وصوله خروج وقت صلاة الفريضة.

2- ألا يستطيع النزول للصلاة على الأرض، كحالة التحام القتال مع العدو، أو مرض الراكب، أو سيره في أرض فيها ماء، لا يطيق النزول فيها، أو خشي تلطخ ثيابه، وغير ذلك من الأعذار الشرعية.

---

1. حاشية ابن عابدين: 1/ 470، ومواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل: 509/1، وكشاف القناع عن متن الإقناع: 1/ 304

2. حاشية الجمل على شرح المنهج: 319/1، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: 434/1].

فإن تحقق الشرطان المذكوران أعلاه جاز للمصلي الصلاة في المركبة، أما إن تيقن أنه يستطيع النزول أو الوصول قبل خروج وقت الصلاة، وجب عليه أن ينتظر إلى أن ينزل أو يصل، فيصلي، وما يدل على جواز صلاة الراكب قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: 78)، وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(التغابن :16)،وغير ذلك من الأدلة العامة التي فيها عدم تحميل المسلم ما لا يطيق، ولكن إن استطاع الراكب أن يستقبل القبلة في أفعال الصلاة جميعها وجب عليه ذلك؛ لأن ذلك يعد شرطاً من شروط صحة صلاة الفريضة، حتى وإن كانت في أثناء السفر، أما إن كان لا يقدر على استقبال القبلة في الصلاة جميعها، فليحرص على ذلك قدر المستطاع، وأيضاً يلزم في صلاة الفريضة القيام، فلا تصح الصلاة بالجلوس مع القدرة على القيام، لقوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة: 238)، والنبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: (صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ) [1]

والدليل على عدم صحة صلاة الفريضة في المركبة خلال سيرها إن لم يتحقق الشرطان أعلاه، ما روي عن ابن عمر، رضي الله عنهما، أنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُسَبِّحُ عَلَى الرَّاحِلَةِ قِبَلَ أَيِّ وَجْهٍ تَوَجَّهَ، وَيُوتِرُ عَلَيْهَا، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يُصَلِّي عَلَيْهَا المَكْتُوبَةَ) [2]، ولأن فيها تفويت لبعض أركان الصلاة من القيام واستقبال القبلة، والتي دونها تبطل الصلاة مع القدرة على الإتيان بها، قال الإمام النووي، رحمه الله، معقباً على الحديث النبوي الشريف السابق: " وفيه دليل على أن المكتوبة لا تجوز إلى غير القبلة، ولا على الدابة وهذا مجمع عليه؛ إلا في شدة الخوف، فلو أمكنه استقبال القبلة، والقيام والركوع والسجود على الدابة واقفة - يعني غير سائرة، عليها هودج، أو نحوه جازت الفريضة على الصحيح من مذهبنا، فإن كانت سائرة لم تصح على الصحيح المنصوص للشافعي"[3]

1. صحيح البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب.
2. صحيح البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب ينزل للمكتوبة.
3. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي: 211/5.

والخلاصة: أن صلاة الفريضة في المركبة أثناء سيرها لا تصح إلا بوجود العذر الشرعي الذي ذكرناه، أما عند وقوفها فتصح الصلاة إذا أمكن إتيان الأركان جميعها، من وقوف وركوع وسجود وغيرها، فتشبه الصلاة على الأرض، أما المتحركة فليست مستقرة.

أما صلاة النافلة في المركبة، ففيها سعة، فأجازها الفقهاء دون لزوم عذر شرعي لها، وبلا شروط، إذ تجوز الصلاة على أي حال كان، وحيثما توجهت المركبة بالمصلي، حتى ولو استطاع النزول منها، والدليل على ذلك أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان يتنفل على راحلته وهي تسير، وعلى أي وجهة كانت، فقد روى جابر، رضي الله عنه:«أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُصَلِّي التَّطَوُّعَ وَهُوَ رَاكِبٌ فِي غَيْرِ القِبْلَةِ» [1]، والأفضل أن يستقبل القبلة في صلاة النافلة إن تيسر له ذلك، وكذلك القيام للصلاة.

المسألة الثانية: حكم صلاة النافلة بين صلاتي الجمع، وكيفية أدائها بعد الجمع:

الجمع مشروع بين صلاتي الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، عند وجود العذر الشرعي لدى أهل العلم، ولا تصلى بينهما نافلة؛ لأن التتابع من شروط صحة الجمع بين الصلوات عند جمهور أهل العلم، قال الإمام النووي، رحمه الله: "قال أصحابنا: لو صلى بينهما ركعتين سنة راتبة بطل الجمع على المذهب، وقول الجمهور" [2]، رغم أن بعض الفقهاء خالفوا الجمهور في ذلك، ولم يشترطوا الموالاة في الجمع بين الصلوات، سواء أكان جمع تقديم أم تأخير، ورأي الجمهور هو الأحوط، لذلك تصلى السنة الراتبة القبلية قبل الجمع، والسنة الراتبة البعدية بعد الانتهاء من الجمع بين الصلاتين، وتصلى كل نافلة وحدها بنية مستقلة، وعلى الترتيب، لما روى عَبْدُ اللَّهِ: «إِنَّ الْمُشْرِكِينَ شَغَلُوا النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

1. صحيح البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب صلاة التطوع على الدابة وحيثما توجهت به.
2. المجموع شرح المهذب،لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: 375/4.

عَنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعِشَاءَ»[1]، وتجوز النافلة في المسجد، والأفضل أن تصلى في البيت، فعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اتَّخَذَ حُجْرَةً - قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ مِنْ حَصِيرٍ - فِي رَمَضَانَ، فَصَلَّى فِيهَا لَيَالِيَ، فَصَلَّى بِصَلاَتِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ جَعَلَ يَقْعُدُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ صَنِيعِكُمْ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ صَلاَةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المَكْتُوبَةَ)[2]، قال الإمام النووي، رحمه الله:"في جمع العشاء والمغرب يصلي الفريضتين، ثم سنة المغرب، ثم سنة العشاء، ثم الوتر، وأما في الظهر: فالصواب الذي قاله المحققون: أنه يصلي سنة الظهر التي قبلها، ثم يصلي الظهر، ثم العصر، ثم سنة الظهر التي بعدها، ثم سنة العصر" [3]

وقال زكريا الأنصاري، رحمه الله:"وَإِنْ جَمَعَ تَقْدِيمًا أو تَأْخِيرًا في الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، صلى سُنَّةَ الظُّهْرِ التي قَبْلَهَا، ثُمَّ الْفَرِيضَتَيْنِ الظُّهْرَ ثُمَّ الْعَصْرَ، ثُمَّ بَاقِيَ السُّنَنِ مُرَتَّبَةً، أَيْ سُنَّةَ الظُّهْرِ التي بَعْدَهَا، ثُمَّ سُنَّةَ الْعَصْرِ، وفي الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ يُصَلِّي الْفَرِيضَتَيْنِ، ثُمَّ السُّنَنَ مُرَتَّبَةً، سُنَّةَ الْمَغْرِبِ، ثُمَّ سُنَّةَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ الْوِتْرَ" [4].

المسألة الثالثة: حكم خروج المرأة بالمكياج، أو البنطال أمام الناس:

لقد حافظ الإسلام على المرأة من الجوانب كلها، حتى في لباسها وهيئتها وزينتها؛ وذلك لأهميتها في المجتمع، بل هي أساسه؛ لأنها تنشئ الأجيال، وتربيهم على الأخلاق الحميدة والقيم المثلى، فإن فسدت فسد المجتمع، وإن صلحت صلح، لذلك أعداؤنا يتربصون بنا ليل نهار للإيقاع بنا، فيأتوننا من الجوانب الأساسية والحساسة التي عليها يرتكز كيان المجتمع وتماسكه

1. سنن النسائي، كتاب الأذان، باب الاجتزاء لذلك كله بأذان واحد، والإقامة لكل واحدة منهما، وقال الألباني: صحيح لغيره.
2. صحيح البخاري، كتاب الأذان،باب صلاة الليل.
3. روضة الطالبين وعمدة المفتين، ابو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: 402/1.
4. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي: 245/1.

وقوتـه، ومـن ذلـك رأوا أن محاربتنـا عـن طريـق المـرأة أمـر ضروري لإضعافنـا والسـيطرة علينـا؛ وذلـك بإدخـال السـم إليهـا بأفـكار فاسـدة كالتحـرر، والتحلـل، والعـري، والحريـة، والمسـاواة، وحب السـيطرة وغـير ذلـك، وبدعـم مـن مؤسسـات يوظفونهـا لذلـك؛ لإضعـاف الـوازع الديـني لديهـا، كي يجعلوهـا في آخـر المطـاف ضائعـة بـلا زوج، ولا أسرة، ولا أهـل، كمـا هـي عندهـم، وسـلعة رخيصـة تبـاع وتشـترى بـلا كرامـة، ولا احـترام، ولا قيمـة، عـلى عكس الإسـلام الـذي حافـظ عليها وعـلى كرامتها واحترامهـا وعفتهـا وحقوقهـا، ومنـع كل مـا يـؤدي إلى الانتقـاص منهـا، ومـن دورهـا الحيـوي في الأسرة والمجتمـع، أو يعرضهـا لـلأذى، كالتـبرج والتعـري، وإظهـار مفاتنهـا أمـام الجميـع، أو التـصرف بـلا أخـلاق، وغـير ذلـك، ممـا ينتـج عنـه تفـكك الأسر وضيـاع الأبنـاء، وتفتـت المجتمـع، وانتشـار الرذيلـة.

ووضـع المـرأة المكيـاج عـلى وجههـا، لا بـأس بـه إلا إذا ثبـت أنه يـضر بالوجـه، فحينئـذ يمنع تجنبـاً لـضرره، فقـد قال الشـيخ مصطفـى العدوي: "الحاصـل أن للمرأة أن تسـتعمل المكيـاج ما دامت لا تبديـه إلا لمـن أذن اللـه لهـا في إبدائـه لهـم، وإذا لـم يكـن فيه تدليـس ولا غش لأحـد، وإذا لم يثبت لـه ضرر كبـير عـلى بشرة المـرأة، واللـه أعلم"[*]،وهناك أقوال تفيـد أن بعض المكياج قد يـضر بالبشرة، يقـول سـمير عبـد العزيـز في كتاب(اللبـاس والزينـة، ص: 120 - 125): "يذكـر بعض الأطبـاء أن للمكياج أضرارًا عـلى البـشرة، فـإن ثبـت هـذا لم يجز اسـتعماله، قـال الدكتور مصطفى حسـين عبـد المقصود، أسـتاذ الأمـراض الجلديـة والتناسـلية بكليـة طـب طنطـا، عندمـا سـألته عـن أضرار المكيـاج الصناعـي، فقـال: إن هـذا المكيـاج الصناعـي الحديـث لـه أضرار بالغة عـلى البشرة، فيـؤدي إلى:

1 - ضمور الجلد وتجعده، وبالتالي إلى عجز مبكر في الجلد.

2 - جفاف الجلد وتشققه.

3 - التهاب الجلد وتهيجه، وإصابته بالحساسية (الإكزيما).

* جامع أحكام النساء: 4/ 418

4 - تغير في لون الجلد، إما عن طريق زيادة اللون وظهور مناطق سمراء (كلف الحمل)، وإما بقلة الصبغات وظهور بعض البقع البيضاء.

5 - امتصاص الإشعاعات وظهور حساسية ضوئية بالجلد، من بعض ألوانه، مما قد ينتج عنه بعض الأورام.

6 - إغلاق مسام الجلد بفعل الكريمات التي تستعمل كأساس، وظهور بعض الحبوب التي تشبه حب الشباب.

7 - تهيج حب الشباب لدى المصابين به، وعدم استجابته للعلاج.

ثانيًا: (أحمر الشفاه): أما استعمال أحمر الشفاه فيؤدي إلى:-

1 - جفاف الشفتين وتشققهما، والتهاب الشفتين وتهيجهما.

2 - الإكزيما والحساسية بالشفتين من تكرار استعماله، كما قد ينتج عنه بعض الأورام بالشفتين.

3 - امتصاص الإشعاعات من بعض المواد الملونة له، وتركيزها حول الشفتين مما يؤدي إلى زيادة اللون، واسمرار الشفتين حول الفم، وهذه شكوى كثير من السيدات اللاتي يستعملن أحمر الشفاه.

4 - امتصاص بعض المواد عند اختلاطها بالطعام يؤدي إلى أضرار بالغة بالجسم". [*]

والخلاصة أنه ينبغي للمرأة تجنب استخدام المكياج الضار قدر الإمكان لما ذكر، ولو كان ذلك أمام الزوج أو محارمها؛لأن من المكياج إن لم يضر بالمرأة حالاً، ما قد يضر بها على المدى الطويل، لذلك ينبغي لها ألا تستعمله إلا بعد استشارة طبيب ثقة أو أكثر، ولا يجوز لها الخروج بالمكياج أمام العامة؛ لأنها مأمورة بألا تبدي زينتها لغير المذكورين في الآية الكريمة، في قوله تعالى:﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ

* الأستاذ / مصطفى حسين عبد المقصود، دكتوراه الأمراض الجلدية والتناسلية والعقم، أستاذ بكلية طب طنطا، وورد في كتاب صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، أبو مالك كمال بن السيد سالم: 3/60-61]

أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: 31].

وبالنسبة إلى خروج المرأة بالبنطال، فللباس المرأة المسلمة صفات يجب التقيد بها، وعدم مخالفتها، وهي: أن يكون لباسها ساتراً للجسد كله، سوى الوجه والكفين، بدليل الآية الكريمة السابقة، وألا يكون مجسماً للمرأة بحيث لا يشف ولا يصف، وألا يكون زينة في نفسه، بحيث يلفت النظر، وألا يكون فيه تشبه بلباس الكافرات أو تشبه بالرجال، فعن ابن عباس، رضي الله عنهما: عَنِ النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم: (أَنَّهُ لَعَنَ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ، وَالْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ)(*)، ولا يجوز للمرأة أن تعطر ملابسها عند الخروج من المنزل، فتأثم بذلك، ولا يجوز للمرأة الخروج بالبنطال خارج المنزل؛ لأن لباسه لا يتوافق مع صفات اللباس الشرعي التي ذكرناها، والله تعالى أمر نساء المؤمنين بالتستر، فقال عز من قائل: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب :59]،فالبنطال لا يستر الواجب ستره من الجسد أمام الأجانب، عدا أنه يجسم، ومنه ما يشف، أو يكون زينة ولافتاً للنظر وفتنة، وفيه تشبه بالرجال، سائلين الله سبحانه وتعالى لنساء المسلمين الهداية والاستقامة على الدين، وأن يرزقهن الحياء والعفاف والأخلاق الحسنة.

وصلى الله على محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

* سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في لباس النساء، وصححه الألباني.

القرآن الكريم وأثره في أخلاق حامله

الشيخ مهدي سليم
باحث شرعي - دائرة إفتاء جنين

أيَّد الله سبحانه وتعالى الأنبياء بمعجزات تدل على صدق دعواهم، وتؤكد نبوتهم، وأنهم مرسلون من الله سبحانه وتعالى، ومؤيدون بأدلة قاطعة لا تدع مجالاً للشك بأن رسالتهم صادقة، وأدلتهم قاطعة، وأنهم بعثوا برسالة لينقذوا البشرية من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن جهالة الشرك إلى حقيقة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وقد قدَّرَ الله سبحانه وتعالى أن تكون معجزة نبينا الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، معجزة خالدة دائمة ما دامت السماوات والأرض، بخلاف معجزات الأنبياء السابقين، الذين انتهت معجزتهم بموتهم، وانتهاء زمانهم، وفناء أقوامهم، ليكون القرآن الكريم بأثره الطيب، وحجته البالغة، ودليله القطعي نوراً للهداية، وطريقاً للسلامة، تدركه الأجيال جميعها باختلاف الزمان والمكان، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: 9).

لغة القرآن وتناسقه:

والقرآن الكريم نزل بلغته القوية، وفصاحته البالغة، وتأثيره الواضح في قوم أصحاب تذوق للغة، وفهم للمعاني، وإدراك للألفاظ، فكان القرآن الكريم بدقةٍ متناهية ما عرف العرب لها مثيلاً، ولا سمعوا لها شبيهاً، رغم أن لغتهم كما قال ابن كثير في تفسيره: (أَفْصَحُ اللُّغَاتِ

وَأَبْيَنُهَا وَأَوْسَعُهَا، وَأَكْثَرُهَا تَأْدِيَةً لِلْمَعَانِي، الَّتِي تَقُومُ بِالنُّفُوسِ)[*]، إلا أن لغة القرآن الكريم أتت مبهرة لآذانهم، محيرة لعقولهم، مما أدى بهم للقطع والجزم بأن هذا الكلام خارج عن القدرة الإنسانية، والتأليف البشري، الذي اعتادوا صياغته وتدوينه، فكان للقرآن الكريم وقعٌ كبير، وتأثيرٌ عظيم فيهم، ومنذ اللحظة الأولى لسماعه.

ولمّا كان القرآن الكريم كتاب الله المحكم، ومعجزته الخالدة، ناسب أن يكون بهذه القوة وهذا التأثير؛ ليكون نبراساً ونوراً على مدى الزمان، فالقرآن الكريم، ومن بداية آياته، نرى فيه قوة الطرح، وجمال الأثر، فلم يأتِ في بدايته تشكيك، ولا يعتريه نقص أو تقصير، ولا يوجد في ثناياه شيء من الاحتمالات، أو التوقعات، بل كله صدق ويقين، ولم يُسَجل في تاريخ البشرية أن حقيقة علمية، أو اكتشافاً بشرياً أو ظاهرة طبيعية كانت حقيقة ثابتة، وعارضت شيئاً من آيات الله في كتابه، بل إن العلم كلما زاد تطوره، وتوسعت مداركه، أصبح يؤكد حقائق علمية، ومكتشفات متطورة، ذكرت في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً.

لأجل ذلك؛ نرى أن كل سورة من القرآن الكريم، بل وربما كل آية فيها: منهاج حياة، ودستور نجاة، وحقائق ثابتة، وقواعد راسخة، وأسلوب تربوي، وتوجيه أخلاقي، وأسلوب قصصي، وحوار بناء، وطريقة إقناع، وعقيدة سليمة، وفقه متوازن، وحنيفية سمحة، وإبداع في رَصفِ آياته، وترتيبُ كلماته، ودقةٌ في اللفظ، ودلالة في المعنى، وتناسب في السياق، وراحة عند سماعه، وتوفيق عند فهمه، ورفعةٌ وعلو منزلةٍ لمن أكرمه الله ووفقه، فحفظ كتابه الكريم، وكان من أهله.

* ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (774هـ). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: محمد حسين شمس الدين (دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ)ـ الطبعة: الأولى. (365/4).

أثر القرآن الكريم في المؤمنين به:

وبما أن العرب الذين نزل عليهم القرآن الكريم أهل فصاحة، وأصحاب تخصص في اللغة، نزل القرآن الكريم بهذا الجمال، وتلك الدقة في التعبير والصياغة؛ ليكون له الأثر العظيم، والوقع الكبير عند قراءته وسماعه، ليكون ذلك عاملاً مؤثراً في تصحيح بعض المعتقدات الباطلة، والعادات الفاسدة التي نشأوا عليها وتربوا، وقد كان لكتاب الله الأثر الواضح في الأقوام الذين نزل فيهم القرآن الكريم منذ الأيام الأولى لنزوله على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقد نزل القرآن الكريم على أقوام متناحرة، وقبائل متحاربة، تفرقهم أبسط الأمور، ويقتتلون لأتفه الأسباب، وبعد نعمة القرآن الذي نزل عليهم أصبحوا كالجسد الواحد، بأخوتهم الصادقة، وعلاقاتهم الطيبة، قال تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} (آل عمران: 103)، علّق على هذه الآية الإمام الطبري، فقال: "واذكروا، أيها المؤمنون، نعمة الله التي أنعمَ بها عليكم، حين كنتم أعداء في شرككم، يقتل بعضكم بعضًا، عصبيةً في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله، فألف الله بالإسلام بين قلوبكم، فجعل بعضكم لبعض إخوانًا، بعد إذ كنتم أعداءً تتواصلون بألفة الإسلام، واجتماع كلمتكم عليه". (*)

فبنعمة الإسلام أصبحوا يتآثرون بين بعضهم بعضاً، ويحبون لإخوانهم من الخير ما يحبونه لأنفسهم، بل ويقدمون مصالح إخوانهم على أشخاصهم، حتى قال الله فيهم: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(الحشر:9).

وبنعمة الإسلام أصبح ولاؤهم لله، وطاعتهم لرسوله، صلى الله عليه وسلم، يسيرون مع الحق حيثما كان، ويقدمونه على أنفسهم وأهلهم، ولا يخافون في الله لومة لائم، مصداقاً لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ} (النساء: 135).

* الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبو جعفر الطبري(310هـ). جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر (مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ) (77/7).

وبنعمة القرآن، وهدي الإسلام، أصبحوا يخوضون المعارك لأجل رفع لواء الإسلام، ونصرةً لدين الله سبحانه وتعالى، بعد أن كانت العصبية القبلية شعارهم، والانتقام لأشخاصهم، والدفاع عن أهوائهم جلّ أهدافهم، نزل فيهم القرآن الكريم، ليصحح ولاءهم، ويوجه اعتقادهم إلى الطريق الصحيح، ليصبح هدفهم الأوحد، وطريقهم السليم نصرة شرع الله، والسير على رضاه، والجهاد لرفع راية التوحيد، سيراً خلف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عندما قال: (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ). [1]

إنصاف القرآن للمرأة:

وبنور الإسلام، ونزول القرآن أُنصفت المرأة، وأصبحت لها مكانة وأهمية، بعد أن كان العرب يخجلون من اسمها، ويختبئون حياءً -من لسان الناس- عند ولادتها، كما قال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (النحل: 58 - 59).

وكما قال الفاروق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: (كُنَّا فِي الجَاهِلِيَّةِ لاَ نَعُدُّ النِّسَاءَ شَيْئًا، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ، وَذَكَرَهُنَّ اللَّهُ، رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًّا). [2]

فبزغ فجر الإسلام، ونزل على العرب القرآن، ووضعت الأمور في نصابها الصحيح، فأكرم الله سبحانه وتعالى المرأة إكراماً لم يكن لها قبل الإسلام، وجعل لها حقوقاً ما سجلت في كتاب، ولا عرفت في دستور قبل القرآن، فجعل الله تعالى للمرأة حق التملك، والبيع، والشراء، والميراث، والإيجاب والقبول عند الزواج، والعمل الذي يحفظ كرامتها، والكثير الكثير من الحقوق، التي ذكرت في كتاب الله وسنة نبيه، صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} (النساء:7)، وقال تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(البقرة:228).

1. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.
2. صحيح البخاري. كتاب اللباس، باب ما كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يتجوز من اللباس والبسط.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أَيْ وَلَهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ مَا لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ، فَلْيُؤَدِّ كُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَى الْآخَرِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ بِالْمَعْرُوفِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[1]، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى الله عليه وسلم، قال فِي خُطْبَتِهِ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ :(فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عليكم رِزْقُهُنَّ، وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ).[2]

آثر القرآن الكريم في الارتقاء بالإنسان:

وما أجمل القرآن عندما بَنى الفكر، ورتب الأولويات، وارتقى بالإنسان إلى العلياء، فبعد أن كان جلّ همه جمع المال، والعناية بما يملك من الحيوانات والدواب، وحيازة الملك، والسطوة على الخلق بكل قوة تصلها يداه، أصبح المسلم يَحلُم برضا الله سبحانه وتعالى، ويسعى للجنان وكل همه {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} (طه: 84)، مع الموازنة التامة بين نصيبه من الدنيا، وهمه الأكبر بالنجاح، والارتقاء عند الله عز وجل في الآخرة، قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (القصص: 77)

وما أجملها من حياة عندما يذكر لنا القرآن الكريم أن حياة المسلم كلها عبادة وطاعة ورضا لله سبحانه وتعالى {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (الأنعام: 162-163). فعمله بالنهار الذي يبتغي به الرزق الحلال، والنفقة على الأهل، والعيال عباده، وليله الذي يحييه بالقيام، وينوي به النوم ليقوى على الطاعة، والعبادة له به أجر وثواب، هذا كله بعد أن لم يكن لحياته معنى، ولا لأيامه قيمة تُذكر. وبعد أن كان التفضيل بينهم يُبنى على اللون والجنس، والانتماء والقبيلة، أصبحت أخوة الإسلام

1. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، صلى الله عليه وسلم.
2. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، صلى الله عليه وسلم.

تسود، وتقوى الله ترفع، ولا فضل لأحد على أحد بالمال، أو النسب، أو الجاه، بل الميزان ما حدده رب العزة جلّ في علاه، حيث قال في كتابه الكريم: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (الحجرات:13).

آثر القرآن الكريم في تغير أحوال المجتمعات:

فلا عجب بعد هذا كله، أن نرى كيف تغير المجتمع القرشي، الذي نزل فيه القرآن الكريم، وكيف تبدلت أحوالهم، واختلفت أفكارهم، وكان لكتاب الله بينهم أثر طيب وتغيير جذري نحو الخير والصلاح، وليس من الممكن أن نرى لكتاب الله أثراً في حامله إلا إن كان همه أن يتمثل كل ما فيه، ويطبق أحكامه، ويتخلق بأخلاقه، ويتأدب بآدابه، فلا يكفي ترداد الآيات دون فهم المعنى، ولا حفظ السور دون إدراك المقصود، ولا تقليب الصفحات، دون فهم أو وعي، ولا أن نعدّ على أنفسنا أجزاء من القرآن الكريم حفظناها، لكننا لم نفهم منها شيئاً، ولم نطبق على أنفسنا ومجتمعنا منها ما لأجله أنزلت، ولسببه شرعت، فقد ورد عن عدد من الصحابة، رضوان الله عليهم، رغم ذكائهم، وسرعة بديهتهم، وتفوقهم في الحفظ، أنهم كانوا يعكفون عدداً من السنين لحفظ بعض السور من القرآن الكريم، كما ورد عن ابن عمر، رضي الله عنهما، أنه(مَكَثَ عَلَى سُورَةِ البَقَرَةِ، ثَمَانِيَ سِنِينَ يَتَعَلَّمُهَا) [1]. قال الزرقاني، رحمه الله: "ليس ذلك لبطء حفظه -معاذ الله- بل لأنه كان يتعلم فرائضها وأحكامها، وما يتعلق بها ، فقد روي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، كراهة الإسراع في حفظ القرآن، دون التفقه فيه، ولعل ابن عمر خلط مع ذلك من العلم أبواباً غيرها، وإنما ذلك مخافة أن يتأوله على غير تأويله.". [2]

1. مالك، ابن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (179هـ). موطأ الإمام مالك. خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985 م) ص(205/1).
2. ابن عبد الباقي، محمد بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003م)، الطبعة: الأولى. ص(22/2).

وهـذه الطريـق كانـت منهـاج الصحابـة في حفـظ القـرآن الكريـم، فلـم يكـن السـباق بينهـم في عـدد الصفحـات المحفوظـة أو المقـروءة، ولا كـثرة الأجـزاء، بـل كان الواحـد منهـم لا يتجـاوز الآيـة مـن كتـاب اللـه، حـتى يفهـم معناهـا، ويطبـق أحكامهـا، ويتخلـق بأخلاقهـا، ويتمثـل بمـا فيهـا، ويحفظهـا بقلبـه وجوارحـه، ويفديهـا بدمـه ومالـه، ويعلمهـا لإخوانـه وأهلـه، حـتى اسـتحق كل واحـد مـن الصحابـة أن يكـون بأخلاقـه وعملـه مصحفـاً يـدب عـلى الأرض، وقـد صـحّ عَـنْ جُنْـدُبِ بْـنِ عَبْـدِ اللَّـهِ، أنه قَـال : (كُنَّـا مَـعَ النَّـبِيِّ، صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، وَنَحْـنُ فِتْيَـانٌ حَـزَاوِرَةٌ - فتيانـاً أشـداء أقويـاء-، فَتَعَلَّمْنَـا الإِيمَـانَ قَبْـلَ أَنْ نَتَعَلَّـمَ الْقُـرْآنَ، ثُـمَّ تَعَلَّمْنَـا الْقُـرْآنَ، فَازْدَدْنَـا بِـهِ إِيمَانًـا).[1]

قارئ القرآن ومتدبر آياته:

القـرآن الكريـم ينعكـس أثـره في كل مـن حولـه، بشـكل ملحـوظ، وهـذا الأثـر يظهـر عـلى مـن تعلَّـم القـرآن وعلمـه، وعـلى مـن قـرأ القـرآن الكريـم وحفظـه، وتدبـر معانيـه، وعـلى مـن عمـل بمـا فيـه، وطبّـقَ أحكامـه، وتخلَّـقَ بأخلاقـه، ومـا أجمـل هـذا الأثـر الـذي يتركـه القـرآن الكريـم في صاحبه، فعَـنْ أَبِي مُـوسَى الأَشْـعَرِيِّ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ، صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: (مَثَـلُ الْمُؤْمِـنِ الَّـذِي يَقْرَأُ الْقُـرْآنَ كَمَثَـلِ الأُتْرُجَّـةِ؛ رِيحُهَـا طَيِّـبٌ، وَطَعْمُهَـا طَيِّـبٌ، وَمَثَـلُ الْمُؤْمِـنِ الَّـذِي لا يَقْـرَأُ الْقُـرْآنَ؛ كَمَثَـلِ التَّمْـرَةِ لا رِيـحَ لَهَـا، وَطَعْمُهَـا حُلْـوٌ، وَمَثَـلُ الْمُنَافِـقِ الَّـذِي يَقْـرَأُ الْقُـرْآنَ مَثَـلُ الرَّيْحَانَـةِ؛ رِيحُهَـا طَيِّـبٌ، وَطَعْمُهَـا مُـرٌّ، وَمَثَـلُ الْمُنَافِـقِ الَّـذِي لا يَقْـرَأُ الْقُـرْآنَ كَمَثَـلِ الحَنْظَلَـةِ، لَيْـسَ لَهَـا رِيـحٌ، وَطَعْمُهَـا مُـرٌّ) [2].

وعَنْ عَبْـدِ اللَّـهِ بْـنِ عَمْـرِو بْـنِ الْعَـاصِ، قَـالَ: (مَـنْ جَمَـعَ الْقُـرْآنَ، فَقَـدْ حَمَـلَ أَمْـرًا عَظِيمًـا، لَقَـدْ أُدْرِجَـتِ النُّبُـوَّةُ بَـيْنَ كَتِفَيْـهِ، غَـيْرَ أَنَّـهُ لا يُوحَـى إِلَيْـهِ، فَـلا يَنْبَغِـي لِحَامِـلِ الْقُـرْآنِ أَنْ يَجِـدَّ مَـعَ مَـنْ يَجِـدُّ، وَلا يَجْهَـلْ مَـعَ مَـنْ يَجْهَـلُ؛ لأَنَّ الْقُـرْآنَ فِي جَوْفِـه"[3]

1. سنن ابن ماجة، مقدمة الكتاب، باب في الإيمان، (42/1)، وصححه الألباني.
2. صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام.
3. الآجُرِّيُّ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي (360هـ). أخلاق أهل القرآن. تحقيق: الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف (دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 م) (55/1).

وحامل القرآن الكريم يُعرف بحسن عبادته، وإخلاص طاعته لله سبحانه وتعالى، فهو ما أقدم على حفظه، ولا تفرغ لفهمه، ولا اجتهد لتطبيقه، إلا طاعة وامتثالاً لأمر مولاه جلَّ في علاه؛ لأجل ذلك أحيا به ليله، وأمضى به وقته، واستثمر به حياته، وأفنى فيه شبابه؛ طلباً لما عند الله، وطمعاً برضاه، وسباقاً وشوقاً لأن يُخلّد في الجنان، برفقة النبي العدنان، صلى الله عليه وسلم، متمثلاً بذلك قول عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه: (ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناسُ نائمون، وبنهاره إذا الناسُ مُفطرون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبتواضعه إذا الناسُ يختالون، وبحزنه إذا الناسُ يفرحون، وببكائه إذا الناسُ يضحكون، وبصمته إذا الناسُ يخوضون".[1]

وبما أن حامل القرآن باحث عن رضا الله، طالب لثوابه، فهو لا يلتفت في الدنيا لسمعة بين الناس، ولا شهرة بين الخلق، ولا يتاجر بالقرآن الكريم باحثاً عن مدح أو منصب، أو مال أو جاه؛ بل يجب عليه أن يخلص في قراءته، ويريد بها وجه الله تعالى، دون شيء آخر من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة، أو مدح، أو نحو ذلك، وأن لا يقصد بها توصلاً إلى غرض من أغراض الدنيا، من مال أو رياسة أو وجاهة، وأن لا يتخذ القرآن معيشة يتكسب بها، فلو كان له شيء يأخذه على ذلك، فلا يأخذه بنية الأجرة، بل بنية الإعانة على ما هو بصدده، وأن يراعي الأدب مع القرآن، فيستحضر في ذهنه أنه يناجي ربه، ويقرأ كتابه، فيتلوه على حالة من يرى الله تعالى، فإن لم يكن يراه، فإن الله سبحانه وتعالى يراه، وذلك بأن يقدر كأنه واقف بين يدي الله تعالى، وهو ناظر إليه ومستمع منه" .[2]

1. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (676هـ). التبيان في آداب حملة القرآن. تحقيق: محمد الحجار (دار ابن حزم، بيروت،1994م) الطبعة: الثالثة، (54).
2. الضباع، نور الدين علي بن محمد بن حسن بن إبراهيم المصري (1380هـ). فتح الكريم المنان في آداب حملة القرآن، ص (1).

أهل القرآن:

أهل القرآن أخلاقهم تدلّ عليهم، فهم يطوؤن الأرض باتزان، ويسيرون بين الخلق باحترام، سَمتُهم طيب، وأخلاقهم راقية، أصحاب ابتسامة هادئة دائمة، وحُلُم طويل، وصَبر عظيم، يكظمون الغيظ، ويعفون عن الناس، ولا يجعلون للغضب عليهم سبيلاً، يتمتعون بسكينة ملازمة، ووقار من غير علو، وتواضع من غير كبر، قلبهم طاهر، وسريرتهم نقية، لا تعرف الغل، ولا الحقد، ولا تنطق بالغيبة، ولا النميمة، ولا مكان عندهم للحسد أو الرياء، ولا يستهزئون بأحد، ولا يتنابزون بالألقاب، ولا يحتقرون الخَلق، يَسعون بين الناس بالإصلاح، وينشرون الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، كلامهم كلّه أدب، وصمتهم تفكير، فلا يرفعون أصواتهم بالصراخ، ولا يعبرون عن مشاعرهم بالصخب، بل صوتهم هادئ مسموع، يتجنبون الشتائم، وسوء الألفاظ، وينتقون أطيب الكلام، وأجمل العبارات، يحفظون جوارحهم عن أذية الخلق، ويسلم الناس من لسانهم، ويخلو تفكيرهم من سوء الظن، ويبتعدون كل البعد عن الظلم بأشكاله جميعها، وإن ظُلموا سامحوا، وغفروا، واحتسبوا الأجر عند الله، متمثلين بهذه الأخلاق خُلق نبينا الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، الذي وُصفَ بأجمل وصف على لسان أمّنا عائشة، رضي الله عنها، عندما قالت: (كانَ خُلقُهُ القرْآن). [1]

قال القاضي عياض: (أي خلقه كان جميع ما حصل في القرآن، فإن كل ما استحسنه، وأثنى عليه، ودعا إليه، فقد تحلى به، وكل ما استهجنه، ونهى عنه تجنبه، وتخلى عنه، فكان القرآن بيان خلقه). [2]

---

1. مسند أحمد، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق، رضي الله عنها، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.
2. زين العابدين، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن الحدادي ثم المناوي القاهري (1031هـ). فيض القدير شرح الجامع الصغير. (المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ) الطبعة: الأولى. (170/5).

وقفات لغوية عند تسع آيات قرآنية

أ. يوسف عدوي
باحث وكاتب ومحاضر جامعي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، منزل الذكر الحكيم، بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين، الصادق الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وعلى من استنّ بسنته إلى يوم الدين، وبعد؛

فكثيراً ما نسمع، أو نقرأ، خاصة على الإنترنت، وشبكات الإعلام والتواصل الإلكتروني انتقادات من جاهلين يُزعم من خلالها بوجود أخطاء لغوية في القرآن الكريم، وبعضهم يقول في مواقع رسمية على الإنترنت: إله الإسلام يرسب في قواعد اللغة العربية.[1]

وإزاء ذلك وجدت من واجبي كمتخصص في اللغة العربية، ومدرك لمدى الأخطاء الجسيمة التي يقع فيها مثل هؤلاء، أن أكتب في موضوع تلك القضايا التي أشار إليها هؤلاء في القرآن، والله ولي التوفيق.

القرآن كلام الله تعالى:

قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء: 82) يقول الشعراوي في تفسير هذه الآية: تكريم للإنسان، فكأنّ الإنسان قد خلقه الله ليستقبل الأشياء بفكر لو استعمله استعمالاً حقيقياً لانتهى إلى مطلوبات الحق، وهذه شهادة للإنسان، فكأنّ الإنسان مزود بآلة فكرية، لو استعملها لوصل إلى حقائق الأشياء، والحق لا يريد منّا إلاّ أن نُعمل هذه الآلة[2].

1. انظر في الكلمة النبوية، الحلقة 101، نشرت يوم الأربعاء الموافق 15 /1/ 2020م، prophetic word.
2. مختصر تفسير الشعراوي، ج 10، محمد متولي الشعراوي، ص 337.

وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن عن التحريف، والتبديل، والزيادة، والنقصان، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: 9)، والقرآن شامل كامل، يصلح لكل زمان ومكان، لا نقص فيه، ولا شك؛ لأنه من عند الله تعالى، القائل سبحانه: { الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (هود: 1). والقرآن يهدي للحق، والخير، والمحبة، ويعمل على تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، والله تعالى يقول في صفات القرآن: { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } (فصلت: 42).

وقفات توضيحية عند آيات قرآنية يُدَّعي بوجود أخطاء لغويةفيها:

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن بلسان عربي مبين، ولكشف أسرار هذا اللسان، وفهم أسرار إعجاز القرآن اللغوي، والبلاغي، لا بدَّ من التعمق في المنهج الوظيفي الوصفي، مع تأكيد الوظيفة الإبلاغية للغة، عن طريق ربط البلاغة بالنحو، والتعمق في فهم المنهج التاريخي العلمي في الدراسة اللغوية، ومن الآيات التي يهاجمها المغرضون:

{لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}

قال تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} (البقرة: 124). يُزعم أن الخطأ - حاشا لله - في كلمة (الظالمين) معتبرين أنها يفترض أن تكون (الظالمون) على اعتبار أنها فاعل.

وبالرجوع إلى مراجع التفسير واللغة وإعراب القرآن، نجد الإعراب كالآتي: عهدي: فاعل مرفوع، الظالمين: مفعول به منصوب، وحاصل ذلك أنَّ الظالمين لا ينالهم استخلافي، وحرمان ذلك غاية الوعيد، بمعنى كل ما نلته فقد نالك.(*)

* إعراب القرآن وبيانه، ج 1، محيي الدين الدرويش، ص124.

{إن رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ}

قال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} (الأعراف: 56) يُزعم أنَّ في هذه الآية خطأ - حاشا لله- في كلمة (قريب) على افتراض اعتبارهم أن تكون (قريبة)؛ لأنَّ الرحمة مؤنث.

كذلك خطأ إملائي في كتابة كلمة (رحمت) على القاعدة الإملائية، كون التاء مربوطة، وليست مفتوحة. انظر ما يقوله علماء اللغة الكبار في ذلك، يقول الزمخشري: „ وإنما ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم، أو الترحُّم، أو لأنه صفة موصوف محذوف، أي: شيء قريب، على تشبيه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول، أو لأنّ تأنيث الرحمة غير حقيقي „ وقال أبو عبيدة تذكير (قريب) على تذكير المكان، أي مكان قريب. وقال الفرّاء: إنَّ القريب إذا كان بمعنى المسافة يُذكّر ويُؤنّث، وإذا كان بمعنى النسب فيؤنث، بلا اختلاف بينهم، فيقال: دارك منا قريب، وفلانة منا قريب. قال تعالى: {لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} (الأحزاب: 63)، ومنه قول امرئ القيس:

لك الويل إنْ أمسى ولا أمُّ هاشم قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا [1]

ويقول أبو البقاء العكبري في عدم تأنيث (قريب): (إنما لم تؤنث لأنه أراد المطر، وقد يعني النسب؛ أي ذات قرب، كما يقال: امرأة طالق، وقيل: أراد المكان؛ أي إن مكان رحمة الله قريب، وقيل فرق بالحذف بين القريب من النسب، وبين القريب من غيره) [2].

أما عن كتابة كلمة (رحمت) بالتاء المفتوحة، فهناك اختلافات بسيطة في كتابة بعض الكلمات في القرآن الكريم عن الكتابة الإملائية الاصطلاحية، وفي هذا الموضوع تحدث العلماء والباحثون السابقون واللاحقون كثيراً، فمنهم منْ عدَّ رسم المصحف توقيفياً، ومنهم منْ أرجعه إلى تفسيرات صوتية، ولغوية، ونحوية متعددة، وربط فريق من العلماء الاختلاف بامتداد

1. إعراب القرآن وبيانه، مرجع سابق، 2/ 568.
2. البيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، 1/ 575.

للكتابات الأولى التي كانت في الجاهلية، وانحدرت من النبطية، والآرامية، والسامية، وبعض العلماء رأوا في رسم المصحف الإمام، وجوهاً من الحكمة عرفها الصحابة، وذهبت بذهابهم. وكنت قد تناولت هذا الموضوع في مقال سابق مطول منشور في مجلة الإسراء. [1] وقد حصر العلماء مجالات الاختلاف في وجوه، هي: الحذف، والزيادة، والفصل، والوصل، والبدل، والهمز.

{قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ}

قال تعالى: {قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى } (طه: 63). يقول المعترضون: (هذان) خطأ - حاشا لله - لأنَّ إنّ تنصب المبتدأ، ويسمى اسمها، والمبتدأ هنا اسم الإشارة هذان، مثنى، فينصب، وعلامة نصبه الياء. فيردُّ عليهم، في تباين إعرابها الصحيح. إنْ مخففة من الثقيلة ومهملة، وهذان: اسم إشارة للمثنى في محل رفع مبتدأ، واللام الفارقة، وساحران خبر هذان مرفوع، وجملة يريدان صفة لـ (ساحران) وأن وما في حيزها مفعول يريدان.[2]

ويقول العكبري في التبيان: „يقرأ بتشديد إنَّ، وبالياء في هذين، وهي علامة النصب، ويقرأ إنَّ بالتشديد، وهذان بالألف؛ وفيه أوجه:

- أحدها: أنها بمعنى نعم، وما بعدها مبتدأ وخبر.

- والثاني: إنَّ فيها ضميراً محذوفاً، وما بعدها مبتدأ وخبر أيضاً، وقال الزجاج: التقدير لهما ساحران، فحذف المبتدأ.

- والثالث: أنَّ الألف هنا علامة التثنية في كل حال، وهي لغة لبني الحارث، ويقرأ إنَّ بالتخفيف، وقيل: هي مخففة من الثقيلة، وقيل: هي بمعنى ما، واللام بمعنى إلاّ. [3]

وابن كثير وحفص في قراءتها قالا: إنَّ بإسكان النون، والباقون بتشديدها. وأبو عمرو قرأها (هذين) والباقون (هذان) وابن كثير يشدد النون، والباقون يخففونها. [4] ويقول الشعراوي فيها: „ المعنى ما هذان إلاّ ساحران „ [5].

1. مجلة الإسراء، العدد 118، شهرا 11 و 12 من العام 2014م، ص59_ ص66.
2. إعراب القرآن وبيانه، مرجع سابق، ص692 _ ص693.
3. التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق، ج 2، ص 894 _ ص 895.
4. التيسير في القراءات السبع، الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص 151.
5. مختصر تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج 2، ص414.

{وَالصَّابِئُونَ}

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (المائدة : 69) يخطّئ من يزعم - حاشا لله - أن خطأً وقع في كلمة (الصَّابِئُونَ) معتقدين أنها معطوفة على منصوب؛ فيرون أن تكون (والصابئين)، ويقول سيبويه في إعرابها سبعة وجوه، أشهرها: أنَّ النية به التأخير بعد خبر إنَّ؛ وتقديره: ولا هم يحزنون، والصابئون كذلك؛ فهو مبتدأ، والخبر محذوف، ومثله: „ فإني وقيّار بها لغريبٌ „ أي: فإني لغريبٌ، وقيّار بها كذلك. كذلك أنَّ بمعنى (نعم) فما بعدها في موضع رفع، فالصابئون كذلك. [1].

يقول الشعراوي: „ (الَّذِينَ آمَنُوا) أمرهم مفهوم، و(الَّذِينَ هَادُوا) أمرهم مفهوم، و(النَّصَارَى) أمرهم مفهوم. أمّا (الصَّابِئُونَ) فهؤلاء لم يكونوا تابعين لدين، ولكنهم سلكوا طريقاً مخالفاً، فجاءت هذه الآية لتلفتنا أنَّ هذه التصفية تشمل (الصابئين) أيضاً، فقدمها ورفعها لتلفت إليها الآذان بقوة، فالله سبحانه وتعالى يعطف الإيمان على العمل، لذلك يقول دائما (آمن وعمل صالحاً) لأنَّ الإيمان إنْ لم يقترن بعمل فلا فائدة منه. „ [2].

والصابئون هم قوم كانوا على دين نوح، عليه السلام، ويقال لكل خارج من الدين إلى دين آخر صابئ، من قولهم صبأ ناب البعير إذا طلع. „ [3]. ووردت قراءة شاذة، وهي قراءة محيصن، فقرأها (والصابئين) عطفاً على لفظ اسم إنَّ. [4]

{اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا}

قال تعالى: { وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا} (الأعراف: 160) يُزعم أن الخطأ - حاشا لله- في هذه الآية في (اثنتي) على اعتبار أنَّ الصواب (اثني) لأنَّ أسباطاً جمع سبط، وهو مذكر، فيقول الزمخشري: وهلا قيل: اثني عشر سبطا؟ قلت: لو قيل ذلك لم يكن تحقيقاً؛ لأنَّ المراد: وقطَّعناهم اثنتي عشرة قبيلة، وكل قبيلة أسباط لا سبط، فوضع (أسباطاً)

1. التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق، ج 1، ص451 _ ص 452.
2. مختصر تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج 1، ص 62.
3. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الأصفهاني، ص 276.
4. الميسر في القراءات الأربع عشرة، محمد فهد خاروف، ص119.

موضع قبيلة. ونظيره: بين رماحَيْ مالك ونهشل. وقال الحوفي: يجوز أن يكون على الحذف، والتقدير: اثنتي عشرة فرقة، ويكون أسباطاً نعتاً لفرقة، ثم حذف الموصوف، وأقيمت الصفة مقامه، لهذا أسباطاً ليس تمييزاً؛ لأنه جمع، وإنما هو بدل من اثنتي عشرة، بدل كل من كل، والتمييز محذوف (فرقة)، ولو كان أسباطاً تمييزاً على اثنتي عشرة لذُكِر العددان، ولقيل: اثني عشر بتذكيرهما، وتجريدهما من علامة التأنيث. [1] ويقول العكبري: أنث اثنتي عشرة؛ لأنَّ التقدير: اثنتي عشرة أمة. [2]

{وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا}

قال تعالى: {كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}(التوبة: 69). يُزعم أنَّ الخطأ - حاشا لله- وقع في كلمة (كالذي) ويعتقدون أن الصواب (كالذين) قال العكبري: كالذي خاضوا، التقدير كالذي خاضوا فيه، فالذي هنا تشير إلى الباطل، فقد بدلتم الحق بالباطل، فأخذتم المقدمات مثلهم، فقادتكم إلى النتائج نفسها، (كالذي خاضوا) الكاف في موضع نصب على المفعولية المطلقة. والذي فيها وجهان:

- أحدهما: أنه جنس، والتقدير: خوضاً كخوض الذين خاضوا.

- والثاني: أنَّ الذي هنا مصدرية؛ أي كخوضهم. [3]

{ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}

قال تعالى: { هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ } (الحج: 19) يقول الزاعمون أن الخطأ في هذه الآية - حاشا لله- وقع في كلمة (اختصموا) ويزعمون أن الصواب (اختصما) على التثنية.

ويقول علماؤنا: هذان: مبتدأ، وخصمان: خبره، وجملة اختصموا صفة لخصمان، ولك أن تجعل الجملة خبراً، وخصمان بدل من (هذان)، و{ فِي رَبِّهِمْ } متعلقان باختصموا، وهو على حذف مضاف، أي: في دينه، وقال: خصمان، ثم جمع الفعل؛ لأنَّ الخصم في الأصل مصدر؛

1. إعراب القرآن وبيانه، مرجع سابق، 3/ 62.
2. التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق، 1/ 599.
3. المرجع السابق نفسه، 2/ 650 - 651.

ولذلك يوحَّد ويذكَّر غالباً، ويجوز أن يثنى ويجمع، أو الجمع مراعاة للمعنى؛ لأنَّ المتخاصمين كانوا فرقاً شتى، وطوائف كثيرة. [1].

ومثل ذلك أيضاً ما جاء في سورة الحجرات في قوله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}(الحجرات: 9). فلم يقل الله سبحانه وتعالى: (اقتتلتا) على اعتبار أنَّ الطائفة جماعة من الناس، وجاء الحمل على المعنى، فقال سبحانه وتعالى (اقتتلوا) والقياس: اقتتلتا، حملاً على المعنى؛ لأن الطائفتين في معنى القوم والناس، ثم حمل على اللفظ، فقال: (بينهما).

{وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ}

قال تعالى: {لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا}(النساء: 162). اعتبر بعض الزاعمين أن في قوله تعالى: (والمقيمين) خطأ لغوي- حاشا لله- ويقولون الصواب (والمقيمون) على أساس العطف على (الراسخون). يقول ابن كثير في هذا المقام: „والمقيمين الصلاة هكذا هو في جميع مصاحف الأئمة، ورد على من زعم أن ذلك من غلط الكتاب، وذكر اختلاف الناس، فقال بعضهم هو منصوب على المدح، كما جاء في قوله تعالى: { وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}(البقرة: 177)، قال: وهذا سائغ في كلام العرب، كما قال الشاعر:

لا يبعدن قومي الذين همو أسد العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأزر[2].

(والمقيمين الصلاة) الواو معترضة، والمقيمين نصب على المدح بإضمار فعل؛ لبيان فضل الصلاة، على ما قاله سيبويه وغيره، والتقدير: أعني، أو أخص المقيمين الصلاة، الذين يؤدونها على وجه الكمال، والنصب على المدح، أو الغاية، لا يأتي في الكلام البليغ إلا لنكتة، والنكتة هنا ما ذكر من مزية الصلاة، ويهدي التفكير لاستخراج مزيتها، وهو من أركان البلاغة، والصلاة مفعول به للمقيمين، والمؤتون الزكاة عطف على ما تقدم، والزكاة مفعول به لـ (المؤتون)؛ لأنه اسم فاعل. [3]

1. إعراب القرآن وبيانه، مرجع سابق، 5/ 118، وانظر التبيان في إعراب القرآن، 2/ 937.
2. تفسير ابن كثير، 1/ 553.
3. إعراب القرآن وبيانه، مرجع سابق، 2/ 151 - 152.

{لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ}

قال تعالى: { اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} (الشورى: 17)، يعتبر الزاعمون أنَّ تذكير (قريب) خطأ - حاشا لله - والصواب (قريبة) على اعتبار أنّ الساعة مؤنث. ويرد عليهم أن جملة {لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} مفعول ثان ليدريك، ولا بد من تقدير مضاف، أي: لعلَّ مجيء الساعة قريب. [1]، ويقول أبو البقاء في التبيان: „ لعلَّ الساعة قريب يجوز أن يكون ذكّرَ على معنى الزمان، أو على معنى البعث، أو على النسب؛ أي ذات قرب" [2].

الخاتمة:

لعل من الحسن أن تختم هذه الوقفات بما تم استنتاجه من دراستها، أنَّ هناك أسباباً مانعة كثيرة من قبول الحق عند بعض الناس، ولعلَّ أهمها: الجهل بالحق، فمن جهل شيئاً عاداه، وعادى أهله، ومتبعيه، كذلك الحسد الذي هو داء كامن في النفس، فيرى الحاسد المحسود قد فضَّل عليه، فلا يدعه ينقاد إليه. قال تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}(البقرة: 109). ويختار الباطل أيضاً من باب الجهل، والتقليد، والألفة، والعادة، واستحسان ما كان عليه آباؤهم وتمجيده، ومنهم من يختار الباطل، ويعرض عن الحق كبْراً، وعلوّاً، أو طمعاً، ورغبةً في جاه، أو رئاسةً، أو محبةً في الإمعان في البغي والظلم، أو أنَّ الحق يحول بينهم وبين شهواتهم، ونزواتهم، وأغراضهم.

سائلين الله العلي القدير الهداية للناس، وأن يعم الأمن والسلام أرجاء المعمورة، ونحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونشكره سبحانه الذي بشكره تزداد النعم، والبركات، والخيرات. وأشكر الله الذي بفضله ومنّته تمت هذه الوقفات.

1. المرجع السابق نفسه، 7/ 28 - 29.
2. التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق، 2/ 1132.

مضرب الأمثال

أ. هالة عقل
رئيس قسم المطبوعات

مثل الحياة الدنيا:

قال تعالى : {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (يونس: 24 - 25)

جاء في تفسير القرطبي أن قوله تعالى: (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) فيه تشبيه وتمثيل، أي صفة الحياة الدنيا في فنائها وزوالها وقلة خطرها والملاذ بها كماء، أي مثل ماء، {أنزلناه من السماء} نعت للماء. (فاختلط) أي فاختلط الماء بالأرض، والاختلاط تداخل الشيء بعضه في بعض. وقوله تعالى: (مما يأكل الناس) من الحبوب والثمار والبقول. (والأنعام) من الكلإ والتبن والشعير. (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) أي حسنها وزينتها. والزخرف كمال حسن الشيء، (وازينت) أي أتت بالزينة عليها، بالحبوب والثمار والأزهار، أي الغلة والزرع، وقوله تعالى: (وظن أهلها) أي أيقن. (أنهم قادرون عليها) أي على حصادها والانتفاع بها، (أتاها أمرنا) أي عذابنا، أو أمرنا بهلاكها. (ليلاً أو نهاراً) ظرفان. (فجعلناها حصيداً) مفعولان، أي محصودة مقطوعة، لا شيء فيها. (كأن لم تغن بالأمس) أي لم تكن عامرة، من غني إذا أقام فيه وعمره. والمغاني في اللغة: المنازل التي يعمرها الناس. (كذلك نفصل الآيات) أي نبينها. (لقوم يتفكرون) في آيات الله.

وقوله تعالى: {والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} قيل: أراد والله يدعو إلى دار التحية، لأن أهلها ينالون من الله التحية والسلام، وكذلك من الملائكة. قال الحسن: إن السلام لا ينقطع عن أهل الجنة، وهو تحيتهم، كما قال: {وتحيتهم فيها سلام} [يونس: 10]. وقال يحيى بن معاذ: يا ابن آدم، دعاك الله إلى دار السلام، فانظر من أين تجيبه، فإن أجبته من دنياك دخلتها، وإن أجبته من قبرك منعتها. وقال ابن عباس: الجنان سبع: دار الجلال، ودار السلام، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة النعيم. وقوله تعالى: {ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} عمم بالدعوة إظهاراً لحجته، وخص بالهداية استغناء عن خلقه. والصراط المستقيم، قيل: كتاب الله، وقيل: الإسلام، وقيل: الحق، وقيل: رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما.[1]

فالدنيا من الدنو، وهي فانية زائلة، والآخرة خير وأبقى، فاعمل في دنياك لأخراك، حتى تنال الجنة دار السلام.

مثل الصلوات الخمس من ناحية التطهر من الذنوب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟ قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا)[2]

هذا مثل ضربه النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لمحو الخطايا بالصلوات الخمس، فجعل مثل ذلك كمن ببابه نهر يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، كما أن درنه ووسخه ينقى بذلك، حتى لا يبقى منه شيء، فكذلك الصلوات الخمس في كل يوم تمحو الذنوب والخطايا حتى لا يبقى منها شيء.

1. تفسير القرطبي: 8 /327، بتصرف.
2. صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة.

واستدل بذلك بعض من يقول: إن الصلاة تكفر الكبائر والصغائر، لكن الجمهور القائلون بأن الكبائر لا يكفرها مجرد الصلاة دون توبة، وقد ذكر البخاري في تبويبه عليه أن صلاتهن في وقتهن شرط لتكفير الخطايا، وأخذ ذلك من قول النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يغتسل فيه كل يوم خمساً)، وهذا يدل على تفريق الصلوات خمس مرات في كل يوم وليلة، ومن جمع بينهما في وقت واحد أو في وقتين أو ثلاثة لغير عذر لم يحصل منه هذا التفريق، ولا تكرير الاغتسال، وهو بمنزلة من اغتسل مرة أو مرتين أو ثلاثاً.

وتمثيله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالنهر هو مبالغة في إنقاء الدرن؛ فإن النهر الجاري يذهب الدرن الذي غسل فيه، ولا يبقى له فيه أثر، بخلاف الماء الراكد؛ فإن الدرن الذي غسل فيه يمكث في الماء، وربما ظهر مع كثرة الاغتسال فيه على طول الزمان؛ ولهذا روي النهي عن الاغتسال في الماء الدائم.

وأما استنباط البخاري: أن هذا التكفير لا يشترط له أن تكون الصلاة في جماعة، فإنه أخذه من قوله (بباب أحدكم)، ومن صلى في بيته فهو كمن صلى في باب منزله، ولقائل أن يقول: لو كان الأمر على ذلك لجعل النهر في المنزل، فلما جعله ببابه دل على أنه خارج من بيته، ففيه إشارة إلى الصلاة في المساجد، وإن قربت من المنازل، وهذا مما يدل على أن المراد بالدرن الصغائر التي تصيب الإنسان في كسبه ومعاشه ومخالطته للناس المخالطة المباحة.

قَالَ ابْن بطال: يُؤْخَذ من الحَدِيث أَن المُرَاد الصَّغَائِر خَاصَّة، لِأَنَّهُ شبه الْخَطَايَا بالدرن، وهو صَغِير بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا هُوَ أكبر مِنْهُ من القروح والجراحات. فَإِن قلت: لِمَ لَا يجوز أَن يكون المُرَاد بالدرن الْحبّ؟ قلت: لَا بل المُرَاد بِهِ: الْوَسخ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُنَاسِبه التَّنْظِيف والتطهير.

وهَذَا بَاب فِي بَيَان تَضْييع الصَّلَوَات عَن وَقتهَا، وتضييعها: تَأْخِيرهَا إِلَى أَن يخرج وَقتهَا، وَقيل: تَأْخِيرهَا عَن وَقتهَا الْمُسْتَحبّ، وَالْأول أظهر لِأَن التضييع إِنَّمَا يظْهر فِيهِ، وَهَذِه التَّرْجَمَة إِنَّمَا تثبت فِي رِوَايَة الْحَمَوِيّ والكشميهني، وَلَيْسَت بثابتة فِي رِوَايَة البَاقِينَ[*]، فالصلاة صلة بين العبد وربه، وهي عمود الدين، مطهرة من الخطايا والذنوب.

* عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 5/ 16، بتصرف.

مثل الأمانة:

عَـنْ حُذَيْفَـةَ، قَـالَ: (حَدَّثَنَـا رَسُـولُ اللـهِ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، حَدِيثَـيْنِ قَـدْ رَأَيْـتُ أَحَدَهُمَـا، وَأَنَـا أَنْتَظِـرُ الْآخَـرَ حَدَّثَنَـا: أَنَّ الْأَمَانَـةَ نَزَلَـتْ فِي جَـذْرِ قُلُـوبِ الرِّجَـالِ، ثُـمَّ نَـزَلَ الْقُـرْآنُ، فَعَلِمُـوا مِـنَ الْقُـرْآنِ، وَعَلِمُـوا مِـنَ السُّـنَّةِ، ثُـمَّ حَدَّثَنَـا عَـنْ رَفْـعِ الْأَمَانَـةِ قَـالَ: يَنَـامُ الرَّجُـلُ النَّوْمَـةَ فَتُقْبَـضُ الْأَمَانَـةُ مِـنْ قَلْبِـهِ، فَيَظَـلُّ أَثَرُهَـا مِثْـلَ الْوَكْـتِ [1]، ثُـمَّ يَنَـامُ النَّوْمَـةَ فَتُقْبَـضُ الْأَمَانَـةُ مِـنْ قَلْبِـهِ، فَيَظَـلُّ أَثَرُهَـا مِثْـلَ الْمَجْـلِ[2] كَجَمْـرٍ دَحْرَجْتَـهُ عَـلَى رِجْلِـكَ فَنَفِـطَ [3]، فَـتَرَاهُ مُنْتَبِـرًا [4] وَلَيْـسَ فِيـهِ شَيْءٌ - ثُـمَّ أَخَـذَ حَـصًى فَدَحْرَجَـهُ عَـلَى رِجْلِـهِ - فَيُصْبِـحُ النَّـاسُ يَتَبَايَعُـونَ لَا يَـكَادُ أَحَـدٌ يُـؤَدِّي الْأَمَانَـةَ حَـتَّى يُقَـالَ: إِنَّ فِي بَـنِي فُـلَانٍ رَجُـلًا أَمِينًـا، حَـتَّى يُقَـالَ لِلرَّجُـلِ: مَـا أَجْلَـدَهُ مَـا أَظْرَفَـهُ مَـا أَعْقَلَـهُ وَمَـا فِي قَلْبِـهِ مِثْقَـالُ حَبَّـةٍ مِـنْ خَـرْدَلٍ مِـنْ إِيمَـانٍ وَلَقَـدْ أَتَى عَـلَيَّ زَمَـانٌ وَمَـا أُبَـالِي أَيُّكُـمْ بَايَعْـتُ، لَـئِنْ كَانَ مُسْـلِمًا لَيَرُدَّنَّـهُ عَـلَيَّ دِينُـهُ، وَلَـئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّـا أَوْ يَهُودِيًّـا لَيَرُدَّنَّـهُ عَـلَيَّ سَـاعِيهِ، وَأَمَّـا الْيَـوْمَ فَمَـا كُنْـتُ لِأُبَايِـعَ مِنْكُـمْ إِلَّا فُلَانًـا وَفُلَانًـا) [5]

قـال ابـن بطـال في شرحـه لهـذا الحديـث: هـذا الحديـث مـن أعـلام النبـوة؛ لأن فيـه الإخبـار عـن فسـاد أديـان النـاس، وقلـة أمانتهـم في آخـر الزمـان، ولا سـبيل إلى معرفـة ذلـك قبـل كونـه إلا مـن طريـق الوحـي، وهـذا كقولـه: (بـدأ الإسـلام غريبًـا وسـيعود غريبًـا كمـا بـدأ)، ومعـنى قولـه: (في جـذر قلـوب الرجـال) قـال الأصمعـي وأبـو عمـرو، وغيرهمـا: الجـذر: الأصـل. وقولـه: (مـا أبـالي أيكـم بايعـت) إنمـا أراد مبايعـة البيـع والـشراء؛ لأنـه ذكـر الأمانـة، وأنهـا قـد ذهبـت مـن النـاس، يقـول: فليـس أثـق اليـوم بأحـد أئتمنـه عـلى البيـع والـشراء إلا فلانًـا وفلانًـا، لقلـة الأمانـة في النـاس.[6]

1. هو الأثر اليسير، كذا قاله الهروي، وقال: غيره هو سواد يسير، وقيل: هو لون يحدث مخالف للون الذي كان قبله.
2. بإسكان الجيم وفتحها، لغتان حكاهما صاحب التحرير، والمشهور الإسكان، يقال: مجلت يده تمجل مجلاً، ومجلت تمجل مجلاً، لغتان مشهورتان، وأمجلها غيرها، قال أهل اللغة: والغريب المجل، هو التنفط الذي يصير في اليد من العمل بفأس أو نحوها، ويصير كالقبة فيه ماء قليل.
3. قال نفطت يده نفطاً، من باب تعب، ونفيطاً إذا صار بين الجلد واللحم ماء، وتذكير الفعل المسند إلى الرجل، وكذا تذكير قوله فتراه منتبراً، مع أن الرجل مؤنثه باعتبار معنى العضو.
4. مرتفعا، وأصل هذه اللفظة الارتفاع، ومنه المنبر لارتفاع الخطيب عليه.
5. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب.
6. شرح ابن بطال: 10/ 38 بتصرف.

وَحَاصِل الْمَعْنى: أن هذا الحديث فِيه الْإِخْبَار عَن فَسَاد أَدْيَان النَّاس، وَقلة أمانتهم فِي آخر الزَّمَان، أَي: كنت أعلم أَن الْأَمَانَة فِي النَّاس، فَكيف أقدم على مُعَاملَة من اتّفق غير مبال بِحَالهِ وثوقاً بأمانته أَو أَمَانَة الْحَاكِم عَلَيْهِ؟ فَإِنَّهُ إِن كَانَ مُسلماً فدينه يمنعهُ من الْخِيَانَة، ويحمله على أَدَائِهَا، وَإِن كَانَ كَافِراً، وَذكر النَّصْرَانِي على سَبِيل التَّمْثِيل؛ فساعيه، أَي الْمولى عَلَيْهِ يقوم بالأمانة فِي ولَايَته، فينصفني ويستخرج حَقي مِنْهُ، وَأما الْيَوْم فقد ذهبت الْأَمَانَة، فلست أَثِق الْيَوْم بِأحد أئتمنه على بيع أَو شِرَاء، إلاَّ فلَانا وَفُلَانًا، يَعْنِي أفراداً من النَّاس قَلَائِل. (*)

فحفظ الأمانة ورعايتها من الأخلاق عظيمة الشأن، التي جُبل الإنسان عليها، إذ إنها نزلت في جذر القلوب، لكنّ بقاءها عزيز لا سيما في آخر الزمان، فرفعها من القلوب سريع ومتدرج، وهذا الحديث يدل بصورة قاطعة على اغترار الناس بالمظاهر الخارجية في قلوبهم وحكمهم، وثنائهم على الآخرين، مع ضعف مخابرهم في الإيمان والأمانة والصلاح، وهذا من انتكاس المفاهيم والمعايير عند الناس، فيُمدح بحسن صبره أو لسانه، وجسده أو عقله، مع خواء جوفه أو ضعف إيمانه، وأن الأمانة من الإيمان، ولا شك أن فقدان خلق الأمانة دليل على فساد الزمان؛ لأن كثيراً من الحقوق التي لله تعالى، والتي للناس، متعلقة بالأمانة.

جعلنا الله وإياكم من الثلة التي ترعى الأمانة وتصونها، حتى يرث الله الأرض وما عليها، وإلى لقاء متجدد مع آيات وأحاديث تحوي بين طياتها أمثالاً لقارئها ليأخذ منها العظات والعبر، لتنير دربه، لينال رضا الله تعالى، سائلين الله العليَّ العظيم أن يُصلح قلوبنا وأعمالنا، ويُبيِّض وجوهنا يوم نلقاه، ونسأله رضاه والجنة، ونعوذ به من سخطه والنار، والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* عمدة القاري: 24/ 196 بتصرف.

اقرأ وتذكر

أ.إيمان تايه
رئيس قسم النشر والتوزيع/ دار الإفتاء الفلسطينية

ثق بربك

لما كان موسى، عليه السلام، يسري ليلاً، متجهاً إلى النار يلتمس شهاباً قبساً...لم يدر بخُلده وهو يسمع أنفاسه المتعبة، أنه متجهٌ ليسمع صوت رب العالمين ... «فَثِق بربك»

طرح إبراهيم، عليه السلام، ولده الوحيد، واستلّ سكينه ليذبحه، وابنه إسماعيل، عليه السلام، يردد: {افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} (الصافات: 102)، وكِلاهما لا يعلم أن كبشاً أعده الله للفداء «فَثِق بربك»

لما دعا نوح، عليه السلام، ربه:{ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ} (القمر: 10)، لم يخطر بباله أن الله سيغرق البشرية لأجله، وأن سكان العالم سيفنون إلا هو ومن معه في السفينة...«فَثِق بربك»

مستلقٍ عليه الصلاة والسلام، في فراشه حزيناً، واشتدت عليه الهموم، فيأمر ربه جبريل، عليه السلام، أن يعرج به إليه، فيسليه بالأنبياء، ويخفف عنه بالملائكة... «فَثِق بربك»

أطبقت الظلمات على يونس، عليه السلام، واشتدت الهموم، فلما اعتذر ونادى:{أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}(الأنبياء: 87)، قال الله تعالى: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ}(الأنبياء: 88) «فَثِق بربك»

لما أخرج الله يوسف، عليه السلام، من السجن لم يرسل صاعقة تخلع باب السجن، ولم يأمر جدران السجن فتتصدّع، بل أرسل رؤيا تتسلل في هدوء الليل لخيال الملك، وهو نائم، «فَثِق بربك»

ثق بربك، وارفع أكف الخضوع والتضرع، واعلم أن للسماوات والأرض رباً حكيماً كريماً، فإذا ضاقت الدنيا، اتسعت السماء، فكيف نيأس؟!

همسة

لا تشغل بالك، واجعل الفرح شكراً، والحزن صبراً، والصمت فكراً، والنطق ذكراً.

لا تشغل فكرك، ربما ساءتك أوائل الأمور، وسرتك أواخرها؛ كالسحاب، أوله برق ورعد، وآخره غيث هني...

واستغفر؛ فالاستغفار يفتح الأقفال، ويشرح البال، ولا تنسَ (حسبنا الله، ونعم الوكيل)، فإنها تطفئ الحريق، وينجو بها الغريق، ويعرف بها الطريق.

وداوم على قول: (لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين) فسرها عجيب، إذا اشتد الحبل انقطع، وإذا أظلم الليل انقشع، وإذا ضاق الأمر اتسع، فتوكل على الله جل في علاه في كل صغيرة وكبيرة ..

إذا ارتاح الضمير ارتفع المقام

لن يقاسمك الوجع صديق، ولن يتحمل عنك الألم حبيب، ولن يسهر بدلاً منك قريب، اعتن بنفسك، واحمها، ودللها ولا تعطي الأحداث فوق ما تستحق، تأكد حين تنكسر لن يرممك سوى نفسك، وحين تنهزم لن ينصرك سوى إرادتك، فقدرتك على الوقوف مرة أخرى لا يملكها سواك، لا تبحث عن قيمتك في أعين الناس، ابحث عنها في ضميرك، فإذا ارتاح الضمير ارتفع المقام، وإذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك!. لا تحمل هم الدنيا فإنها لله، ولا تحمل همَّ الرزق فإنه من الله، ولا تحمل هم المستقبل فإنه بيد الله.

* فقط احمل همًا واحدًا كيف ترضي الله؟ لأنك لو أرضيت الله، رضي عنك وأرضاك، وكفاك وأغناك.

هل تعلم؟

- أن الجواهر في الناس لا في الحجر
- وأن النور في القلب لا في العينين
- والعز في القناعة لا في المال
- والفخر في الأدب لا في النسب
- والصبر في البؤس لا في النعم

حركت الوتد

يقال: إن إبليس أراد الرحيل من مكان كان يسكن فيه مع أبنائه، فرأى خيمة، فقال: لا أُغادرن حتى أفعلن بهم الأفاعيل، فذهب إلى الخيمة، فوجد بقرة مربوطة بوتد، ووجد امرأة تحلب هذه البقرة، فقام فحرك الوتد، فخافت البقرة وهاجت، فانقلب الحليب على الأرض، ودهست ابن المرأة الذي كان يجلس بجوار أمه وهي تحلبها، فقتلته دهسًا، فغضبت المرأة، فدفعت البقرة، وضربتها بشدة، وطعنتها بالسكين طعناً مميتاً، فسقطت البقرة، وماتت، فجاء زوجها فرأى طفله والبقرة، فضرب زوجته وطلقها، فجاء قومها فضربوه، فجاء قومه فاقتتلوا واشتبكوا، تعجب أبناء إبليس، فسألوا والدهم: ويحك ما الذي فعلت ؟؟؟

قال: لا شيء فقط (حركت الوتد)

وهكذا يظن الأغلب من الناس أنهم لا يفعلون شيئاً، و هم لا يعلمون أن بضع كلمات فقط بالأذن، تسمى وشاية تقلب الحال رأساً على عقب، تسبب الخلاف، وتشعل المشكلات، وتقطع الأرحام، وتشحن الأجواء، وتخطف الفرحة، وتقضي على البهجة، وتكسر القلوب، ثم يظن الفاعل أنه لم يفعل شيئاً !!!

فقط يحركون الوتد، راقب كلماتك قبل أن تتكلم، واحذر من تحريك الوتد.

باقة من نشاطات وأخبار مكتب المفتي العام ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن

أ. مصطفى أعرج
مدير عام مكتب سماحة المفتي العام

دار الإفتاء الفلسطينية تندد بإثارة الفتنة والشغب في محراب المسجد الأقصى المبارك

القدس: نددت دار الإفتاء الفلسطينية ومجلس الإفتاء الأعلى بمحاولة البعض النيل من سكينة المسجد الأقصى المبارك وقدسيته، من خلال إثارة الشغب في محرابه، والتعرض لخطيبه سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، المعروف للقاصي والداني، وللعدو والصديق، بمواقفه الشجاعة والمخلصة في المنافحة عن المسجد الأقصى، وحرية شعبنا الفلسطيني ووحدته، وعن قضاياه الوطنية صغيرها وكبيرها، وقد ترعرع على هذا النهج منذ نعومة أظفاره، وقبل أن يصبح مفتياً عاماً، وبعد ذلك، وما زال وسيبقى بإذن الله تعالى.

وما جرى في المسجد الأقصى المبارك يوم الجمعة 21 /5/ 2021م، يندى له جبين كل غيور عليه، فهو المستهدف أولاً وأخيراً، فاقتحامات ساحاته بقنابل الغاز والصوت وغير ذلك من وسائل القمع والتدنيس، والتي قاومها رواد المسجد الأقصى المبارك والمرابطون فيه ببسالة منقطعة النظير، ورباطة جأش، يبدو أن مخططات الكيد والعدوان برمجت لمعاضدتها باللجوء إلى محاولات خلق فتنة داخلية في صفوف المصلين، لكن الرهان الأكيد سيبقى على وعي شعبنا إذ هو الأمل في مواجهة الفتنة التي لعن الله موقظها ومثير نارها، ونذكر العالمين ما قرره سبحانه بحق أعمال العباد: {...كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ} (الرعد:17)

وفود رسمية وشعبية تتضامن مع سماحة المفتي العام

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد أحمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك، عديداً من الوفود الرسمية والشعبية، التي أمت منزله ومكتبه الرسمي، منددين بالتطاول الآثم الذي قامت به ثلة خارجة عن الصف الوطني، بالإضافة إلى مئات المكالمات الهاتفية، وقد أجمعت هذه الوفود والمكالمات على أن هذا الاعتداء يهدف إلى النيل من أمن المسجد الأقصى المبارك وقدسيته، مع التأكيد على أن للمساجد وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك في فلسطين حرمتها، وينبغي أن لا تستخدم أبداً للمساجلات الفئوية أو إثارة الفتن الداخلية. وأن المسجد الأقصى المبارك كان وما زال عنواناً مُوحداً لنضال الفلسطينيين ضد الاحتلال، ولن يكون إلا نبراساً للوحدة الوطنية، ومنطلقاً للمشروع الوطني الفلسطيني، شاجبين هذه الرعونة التي تتنافى مع الأخلاق والقيم النبيلة التي ترعرع عليها الفلسطينيون، منوهين إلى أن سماحته كان يتقدم الصفوف على مدار عشرات السنين

مرابطاً ومصلياً ومدافعاً صلباً عن المسجد الأقصى المبارك والقدس في مواجهة عصابات سلطات الاحتلال، وقطعان مستوطنيه، وما معركة باب الرحمة والبوابات وإزالة الكاميرات الاحتلالية إلا أنموذجاً لذلك، ولا مجال لأي كان من المزاودة عليه.

من جانبه؛ ثمن سماحته مواقف الشخصيات والوفود الرسمية والشعبية التي آزرته وساندته، والتي عبرت عن وعي بأن ما جرى من شغب مفتعل في محراب المسجد الأقصى المبارك يوم الجمعة الموافق 21 /5 /2021م إنما هدف إلى إثارة الفوضى داخل المسجد، في الوقت الذي يجب أن لا تحيد فيه بوصلة المخلصين من أمتنا وشعبنا عن حماية المسجد الأقصى المبارك الذي ما زال يتعرض لانتهاكات واقتحامات من قبل سلطات الاحتلال، داعياً كل متجرد عن الأهداف الدنيئة إلى تدبر خطبته التي ألقاها في المسجد الأقصى، وبالتأكيد سيصل إلى ما وصل إليه كل من أخذ موقفاً منصفاً منها، من حيث شموليتها وتسلسلها وتركيزها على قضايا الأمة المصيرية.

المفتي العام يشارك في بيت عزاء لشهداء العدوان الإسرائيلي الأخير

رام الله: شارك سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية-خطيب المسجد الأقصى المبارك، في بيت عزاء لشهداء العدوان الإسرائيلي، شهداء هبة الأقصى والشيخ جراح وغزة والأراضي المحتلة عام 1948م، الذي أقامته حركة التحرير الوطني الفلسطيني – فتح- في محافظة رام الله والبيرة، بحضور شخصيات رسمية وشعبية ودينية، وقال سماحته: إن أبناء شعبنا توحدوا في هبة القدس من أجل القدس وحمايتها، وجميعهم انخرطوا في المعركة الوحدوية من أجل تحقيق الأهداف الكبيرة لأبناء شعبنا حتى النصر والحرية والاستقلال، مبيناً أن هذه الكوكبة من الشهداء انضمت إلى كواكب الشهداء التي تنير سماء فلسطين، مؤكداً على ضرورة أن تبقى القدس والمسجد الأقصى المبارك البوصلة الموجهة لحماية الشعب الفلسطيني.

المفتي العام يزور جرحى العدوان الأخير على غزة في مشفى المقاصد

على رأس وفد مقدسي، زار سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك، المصاب إيهاب محمود أحمد داهودي، أول جريح من غزة يصل إلى مشفى المقاصد في القدس، للاطمئنان على صحته، على إثر إصابته

في العدوان الأخير على قطاع غزة، وتمنى سماحته له ولإخوانه الجرحى الشفاء العاجل، وأشار سماحته إلى أن التضحيات التي يقدمها شبابنا فداءً للوطن، تثبت عدالة قضيتنا وحتمية تحقيق أهداف شعبنا بالعودة والاستقلال، مهما طال الزمان، مؤكداً على أن حقد الاحتلال وعنصريته إلى زوال، داعياً إلى ضرورة الرباط والصبر والجلد لإنهاء أطول احتلال معاصر.

المفتي العام يشارك في مؤتمر كلية الشريعة في جامعة الخليل

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – خطيب المسجد الأقصى المبارك- في المؤتمر الدولي الإلكتروني السابع، الذي عقدته كلية الشريعة في جامعة الخليل عبر تقنية (زووم) تحت عنوان"أحكام الذهب والفضة ومستجداتها المعاصرة"، وقد أشاد سماحته بهذا المؤتمر والقائمين عليه، متمنياً له التوفيق والنجاح.

وقدم سماحته ورقة عمل في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر تعرض قضايا متعلقة بأحكام الذهب والفضة في الفقه الإسلامي، وكيفية بيعهما وشرائهما، والتعامل بهما في التجارة، والشيكات والبطاقات الائتمانية، وشارك في هذا المؤتمر عدد من الباحثين من دول عربية وإسلامية عدة.

المفتي العام يشارك في مؤتمر بيت المقدس العاشر

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- خطيب المسجد الأقصى المبارك في المؤتمر الدولي العاشر لبيت المقدس الذي عقد بعنوان: "مئوية المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى 1921 - 2021 التاريخ والدور" وذلك بمناسبة مرور مئة عام على عقد المؤتمر الإسلامي الشرعي في مدينة القدس، برئاسة الحاج المفتي أمين الحسيني – رحمه الله- بمشاركة نخبة من العلماء المسلمين والباحثين، من العالمين العربي والإسلامي، وذلك عبر تقنية الاتصال المرئي (zoom) بسبب الظروف الصحية التي يعاني منها العالم أجمع، وبين سماحته أن موعد هذا المؤتمر في ذكرى الإسراء والمعراج في هذا العام، يعني الكثير للقدس ومقدساتها وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، وأكد سماحته أن هذه

المشاركة من دول العالمين العربي والإسلامي تؤكد أن قضية فلسطين والقدس تشكل القلب النابض والبوصلة الحقيقية لأبناء الأمة الإسلامية، وأن أي انحراف عن هذا الاتجاه، هو انحراف عن عقيدة المسلمين وقبلتهم الأولى.

المفتي العام يشارك في افتتاح مسجد قطر في مدينة روابي

رام الله/ روابي: بحضور دولة الدكتور محمد اشتية - رئيس مجلس الوزراء- ووزير الأوقاف الفلسطيني، شارك سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية - خطيب المسجد الأقصى المبارك- في افتتاح مسجد قطر في مدينة روابي، وألقى كلمة بالمناسبة بين فيها أهمية المساجد ودورها في إيصال رسالة الإسلام لكل الناس، وتنويرهم ووضعهم على الطريق القويم، وأن المساجد منارات للعلم والمعرفة والوحدة ولم الشمل، وأنها تجمع ولا تفرق، وأنها ركن مهم وجزء أساس وأصيل من تركيبة المجتمع الإسلامي، وتقوم بدور فاعل في تعزيز التسامح ولم الشمل، وأعرب سماحته عن شكره وتقديره للسيد بشار المصري على هذه الخطوة الحميدة التي تنبع من حرص واحترام الدين الحنيف، وديمومة للعمل بموجبه في مختلف جوانب حياتنا العملية والاجتماعية، وفي ظل هذه الظروف العصيبة المتمثلة بانتشار الأمراض والأوبئة، فإن الناس بأمس الحاجة إلى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، والدعاء بأن يرفع هذا الوباء الذي ضرب العالم، وشارك في حفل الافتتاح عدد من الشخصيات الرسمية والشعبية والدينية، إضافة إلى وفد قطري رفيع المستوى.

المفتي العام يترأس جلستي مجلس الإفتاء 193 و194

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- رئيس مجلس الإفتاء الأعلى الجلستين الثالثة والتسعين والرابعة والتسعين بعد

المائة من جلسات مجلس الإفتاء الأعلى، بحضور أصحاب الفضيلة أعضاء المجلس من مختلف محافظات الوطن، حيث حذر سماحته من تداعيات قرار سلطات الاحتلال بهدم حي البستان في بلدة سلوان - جنوب المسجد

الأقصى المبارك- والذي سوف يؤدي إلى تهجير عشرات العائلات وتشريدهم من خلال هدم عشرات المنازل، وتحويله لصالح مشاريع ومخططات تهويدية، مبيناً أن هذه الخطوة تشكل سابقة خطيرة في تاريخ القدس، وبداية لهدم أحياء بأكملها، وترحيل جماعي، بهدف تفريغ المدينة المقدسة من سكانها الأصليين، حيث تعتبر بلدة سلوان الحامية الجنوبية للمسجد الأقصى المبارك، كما حذر سماحته من تداعيات إصرار سلطات الاحتلال وقطعان مستوطنيه على اقتحام المسجد الأقصى المبارك بحجة الأعياد اليهودية، محملاً سلطات الاحتلال عواقب هذا العدوان.

دار الإفتاء وجامعة الخليل توقعان اتفاقية تعاون

القدس: في إطار التعاون المشترك بين المؤسسات الفلسطينية لخدمة المجتمع الفلسطيني وأبنائه، وخاصة في المجالين التوعوي والتعبدي، وقعت دار الإفتاء الفلسطينية، ممثلة بسماحة الشيخ محمد أحمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية - خطيب المسجد الأقصى المبارك، وجامعة الخليل ممثلة برئيس الجامعة- الدكتور صلاح الزرو، اتفاقية تعاون مشترك، وتهدف إلى تبادل الخبرات بينهما، وتبادل الكتب والدوريات والمجلات العامة الصادرة عنهما، إضافة إلى التعاون في مجال الأبحاث العلمية، وتبادل الزيارات المشتركة،

وتنظيم الفعاليات العامة، وتمنح الاتفاقية موظفي دار الإفتاء عضوية مجانية في مكتبة جامعة الخليل، وفي المقابل؛ تفسح دار الإفتاء المجال لطلاب العلوم الشرعية من الجامعة، للتدريب والتطبيق العملي في مكاتبها.

وقد أثنى سماحة الشيخ محمد حسين على هذه الاتفاقية، راجياً أن تحقق أهدافها وغاياتها النبيلة، مؤكداً على ضرورة بذل الجهود لتقديم أفضل الخدمات للمواطنين، وخاصة طلبة العلم منهم، مثنياً سماحته على جامعة الخليل، التي تُعد رمزاً وطنياً كبيراً.

نائب المفتي العام يشارك في ندوة دينية

رام الله: شارك فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله، نائب المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ مفتي محافظة رام الله والبيرة، في ندوة دينية عبر تقنية zoom نظمها معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي، بعنوان "تجديد البيعة للمسجد الأقصى كعنوان للوحدة الوطنية وكتجسيد للعمل النضالي ضد الاحتلال الإسرائيلي"، بمشاركة عدد من المفكرين الفلسطينيين والعرب، رفض خلالها ما حدث في خطبة صلاة الجمعة في المسجد الأقصى المبارك، ضد سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، معتبراً ذلك خروجاً عن الصف الوحدوي الوطني، واعتبر أن هذه الأحداث مشبوهة تصب في مصالح الاحتلال الإسرائيلي، مؤكداً على أن المسجد الأقصى المبارك، وخطيبه والمقدسيين لن يثنيهم عدوان الاحتلال، عن التمسك بحماية المقدسات الإسلامية.

مفتي محافظة جنين يشارك في محاضرة دينية ونشاطات أخرى

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب - مفتي محافظة جنين- في محاضرة دينية نظمتها دار الإفتاء وهيئة التوجيه السياسي والوطني في المحافظة، بالتعاون مع مركز تأهيل ورعاية الفتاة، بيّن فيها فضيلته أهمية شهر رمضان المبارك، وكيفية استغلال الوقت في العبادة وقراءة القرآن الكريم، والتحلي بالأخلاق الحميدة، داعياً إلى استقبال الشهر

الفضيل بهمة عالية، والمحافظة على الصلوات الخمس، وصلة الأرحام، وشتى أنواع البر والأعمال الصالحة، ودعا التجار إلى عدم الغلو في الأسعار، وشارك في ندوة رمضانية في مركز التراث الفلسطيني، إضافة إلى المشاركة في ورشتي عمل رمضانيتين في مركز تأهيل الفتيات، ودائرة العمل النسائي، داعياً لأخذ الأحكام الشرعية من مصدرها، وعدم الاعتماد على وسائل التواصل الاجتماعي، وأجاب عن أسئلة الحضور.

مفتي محافظة نابلس يشارك في وقفة تضامنية مع الأسرى

نابلس: شارك فضيلة الشيخ أحمد شوباش- مفتي محافظة نابلس- في الوقفة التضامنية مع الأسرى المعزولين في سجون الاحتلال الإسرائيلي، بحضور شخصيات وطنية وشعبية، كما استقبل عدداً من الأسرى المحررين من سجون الاحتلال الإسرائيلي، من كانوا من ذوي المحكوميات العالية، وشارك في ورشة عمل بعنوان: "العلاج الذاتي" تعرضت إلى كيفية العلاج الذاتي من خلال أطراف الجسم، وشارك في دورة تدريبية للإقلاع عن الأمراض النفسية والبدنية التي يمكن علاجها، وذلك في مركز مدارات، وشارك في

العديد من البرامج الدينية عبر مختلف وسائل الإعلام، وأجاب فيها عن استفسارات المواطنين وأسئلتهم في مختلف جوانب الحياة الدينية والدنيوية، كما ألقى العديد من الدروس وخطب الجمعة تناول فيها موضوعات تهم المواطنين في حياتهم، وشارك في حل العديد من الخلافات والنزاعات العائلية والعشائرية.

مفتي محافظة بيت لحم يشارك في مراسم صلح ونشاطات أخرى

بيت لحم: شارك فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة- مفتي محافظة بيت لحم- في مراسم صلح أجراه ديوان العشائر الفلسطيني الأول، وشارك في ندوة دينية مع مؤسسة كورية عبر سكايب، بعنوان: "أهداف إرسال الرسل" كما شارك في العديد من البرامج الدينية في مختلف وسائل الإعلام، تناول فيها موضوعات تهم المواطنين في حياتهم اليومية، وشارك في حل العديد من الخلافات العائلية والعشائرية.

مسابقة العدد 154

السؤال الأول: من.....؟

1. المأمور في قوله تعالى: {وأذن في الناس بالحج...}
2. ابن الذبيحين
3. أهل الدثور
4. الثلاثة الذين لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، حسب ما جاء في الحديث الصحيح، عن أبي هريرة، رضي الله عنه
5. المصلي الذي له أجر حجة وعمرة تامة
6. شارح كتاب (المنهاج)
7. الذي يعرف الفتنة إذا أقبلت، وإذا أدبرت، حسب رأي الحسن البصري
8. الذي خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة، حسب ما جاء في الحديث الصحيح
9. القائل:

أ.(اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً)

ب. يسترزق الله ولا يحج، عن الرجل يستقرض ويحج

ت.أفصح اللغات، وأبينها، وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني: التي تقوم بالنفوس

ث. وموت الفارس الضرغام ضعف — فكم شهدت له في النصر عزمه

ج. والكعبة الغراء تذرف دمعها — تركوك يا أقصى وذاك عقوق

ح. ومن فلسطين قصاد يرافقهم — هم البلاد شعوراً في دعائهم

السؤال الثاني: ما .....؟

1. اسم الميقات المكاني للحج والعمرة الخاص بأهل المدينة
2. أكثر يوم يعتق الله فيه عبداً من النار
3. أبرز أربع روابط للمسجد الأقصى المبارك مع المسجد الحرام
4. رأي الفراء في تذكير (القريب) وتأنيثه
5. حكم:

أ. التصريح بخطبة المعتدة

ب. صلاة النافلة في المركبة

السؤال الثالث: أين يقع.....؟

1. الملتزم في الكعبة المشرفة
2. حي البستان

السؤال الرابع: متى .....؟

1. أعلن عن وقف الحرب الظالمة على أهلنا في غزة، خلال النصف الأول من عام 2021م
2. يقول الشيطان لأتباعه: لا مبيت لكم، ولا عشاء

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

قيمتها الكلية 1500 شيكل موزعة على ستة فائزين بالتساوي

ملحوظتان :

- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- أن لا يقل عمر المتسابق عن 10 سنوات
- ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 154
مجلة الإسراء
الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام / دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب : 20517 القدس الشريف
ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 152

السؤال الأول: ما.....؟

- سورة الرحمن
- بيت المقدس أو دمشق، وفلسطين وبعض الأردن
- تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه
- قول صاحب الدعاء: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أرَ يستجيب لي
- حرام
- بنو حنيفة
- العليا

السؤال الثاني: متى .....؟

- (15)هـ أو (16) هـ
- حتى ينزع
- حين لا تمسك الماء ولا تنبت الكلأ (كالسباخ)

السؤال الثالث: من .....؟

- الرسول، صلى الله عليه وسلم
- أخو يوسف، عليه السلام
- المقداد
- فرعون

القائل .....؟

- المتنبي
- محمد ذياب أبو صالح

السؤال الرابع: كم .....؟

- أربعون عاماً
- (20) سنة
- (28) وحدة

الفائزون في مسابقة العدد 152

اسم الفائز	العنوان	قيمة الجائزة
1. محمد سعيد صالح	رام الله	250
2. غادة عزام داود صلاح الدين	ضواحي القدس	250
3. أسماء حكمت شحرور	طولكرم	250
4. موسى محمد هماش	بيت لحم	250
5. أحمد عبد المنعم تلي	جنين	250
6. آلاء أكرم الحسيني	أريحا	250

ضوابط تنبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم المختلفة من المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملحوظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكَّلة، وصحيحة ويلزم بيان رأي علماء الحديث في مدى صحتها، إن لم تكن مروية في صحيحي البخاري ومسلم.
5. التوثيق عند الاقتباس، سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، أو حواشٍ سفلية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو أبحاث سبق نشرها، سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة عن مجلات أو مواقع إلكترونية .

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.ps - israa@darifta.ps